إشكالية علم الكلام الجديد عند شبلي النعماني عرض ونقد

د/إبراهيم هاشم إبراهيم سيد
المدرس بقسم العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين– القاهرة

ملخص البحث

عنوان هذا البحث (إشكالية علم الكلام الجديد عند شبلي النعماني عرض ونقد).

د/إبراهيم هاشم إبراهيم سيد، المدرس بقسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين- القاهرة

يحتوي هذا البحث على مقدمة، وفصلين، وخاتمة.

يحتوي الفصل الأول وعنوانه (علم الكلام بين التراث والتجديد) على مبحثين: الأول: مفهوم علم الكلام الجديد نشأته وتطوره، الثاني: الفرق بين علم الكلام الجديد وتجديد علم الكلام، ويحتوي الفصل الثاني: وعنوانه (علم الكلام الجديد عند شبلي النعماني) على ثلاثة مباحث: الأول: فكرة علم الكلام الجديد عند النعماني، الثاني: مسائل علم الكلام الجديد، الثالث: وقفة نقدية مع تصور النعماني لعلم الكلام الجديد.

يتناول هذا البحث الحديث عن مفهوم علم الكلام الجديد عند (النعماني) كأول من استخدم هذا المصطلح وأفرد له مؤلفا، كما يتناول الفرق بين تجديد علم الكلام وعلم الكلام الجديد، وأهم من دعوا إلى ضرورة التخلي عن مناهج علم الكلام التراثي لعجز مناهجه ومسائله عن الرد على الشبهات الحديثة، التي تثار من المؤلفين والباحثين، وكذلك مناقشة من يرون أن علم الكلام القديم (التراثي) لم يعد صالحا للرد على الشبهات العصرية، والتي يتعلق معظمها بالموضوعات الحديثة مثل حقوق الإنسان، والطلاق، والانتحار وغيرها من المسائل التي يرون أن علم الكلام القديم لم يتناولها متناسين أن مثل هذه الموضوعات لها مناهجها وعلومها التي تتناول من خلالها؛ كعلم الفقه، وأن علم الكلام له موضوعاته التي

يتناولها لحراسة العقائد ضد شبهات أهل الإلحاد، كما يتناول الرد على من يزعمون أن علم الكلام التراثي أهمل الجانب الإنساني أو الأخلاقي بين موضوعاته ليكون الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في علم الكلام أبلغ رد وأقوى حجة، هذا وبالله التوفيق

Abstract of the research

The title of this research is (The Problem of New Theology in Shibli al-Nu'mani, Presentation and Criticism).

Dr. Ibrahim Hashim Ibrahim Sayed, Lecturer in the Department of Creed and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion - Cairo

This research contains an introduction, two chapters, and a conclusion. The first chapter, entitled (Theology between Heritage and Renewal), contains two topics: The first: The concept of new theology, its origins and development, The second: The difference between new theology and renewal of theology, and the second chapter: entitled (New Theology in Shibli al-Nu'mani) contains three topics: The first: The idea of new theology in al-Nu'mani, The second: Issues of new theology, The third: A critical pause with al-Nu'mani's concept of new theology.
This research discusses the concept of new theology according to (Al-Nu'mani) as the first to use this term and devote a book to it. It also discusses the difference between renewing theology and new theology, and the most important of those who called for the necessity of abandoning the methods of traditional theology due to the inability of its methods and issues to respond to modern doubts raised by authors and researchers. It also discusses those who believe that old (traditional) theology is no longer suitable for responding to modern doubts, most of which relate to modern topics such as human rights, divorce, suicide and other issues that they believe that old theology did not address, forgetting that such topics have their methods and sciences through which they address them; such as jurisprudence, and that theology has its topics that it addresses to protect beliefs against the doubts of atheists. It also addresses the response to those who claim that traditional theology neglected the human or moral aspect among its topics so that talking about enjoining good and forbidding evil in theology is the most eloquent response and the strongest argument. And with God is success.

Keywords: problematic - science - speech - Shibli Al-Nomani.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فقد اقتضت حكمة الله ـ تعالى ـ أن يظل الأزهر الشريف هو الحصن الحصين، والسد المنيع والحائط القويم الذي يتصدى للأفكار المنحرفة الهدامة، تلك الأفكار التي دائما ما تدعو إلى التحلل من ربقة الدين، والخروج من تحت عروته.

وفي العقود الثلاثة الأخيرة زادت وتيرة الدعوة إلى تجديد شامل لعلوم الدين؛ حتى يتناسب ذلك مع الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني الذي يزعمونه، ويأتي على رأس العلوم التي زادت وتيرة الدعوة إلى تجديدها علم الكلام الإسلامي، تجديدا لا يقتصر على إضافة بعض الموضوعات الحديثة إليه؛ لكنها دعوة إلى نقض وانتقاد الأسس التي قام عليها علم الكلام ككل، يشمل هذا النقد الأساس والمنهج الذي قام عليه؛ لتكون تلك الخطوة هي أولى لبنات تأسيس علم كلام جديد مبني على مناهج العلوم الحديثة والقضايا المستجدة المستحدثة التي تواكب العصر، وهي بالأحرى تخص واقع الإنسان المعاصر ولم يسبق أن تناولها العلم القديم مثل: قضايا المجتمع والإنسان الفرد، وحقوق المرأة، والحرية، وحقوق الإنسان، والتجربة الدينية عند الإنسان.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد؛ بل إن من دعوا إلى التجديد يرون أن العلم الجديد الذي ينشدونه سيتناول الموضوعات التي قام عليها علم الكلام القديم وفق تصور جديد للعلاقة بين الإنسان وربه.

وفي هذا البحث سنقف بعون الله مع شخصية ذات أثر في هذا المضمار؛ بل إنه كان من أوائل من استخدموا مصطلح (علم الكلام الجديد) إن لم يكن أول من استخدمه، وهو (شبلي النعماني) الذي يرى أن الموضوعات التي تناولها علم الكلام القديم لم تعد ذات تأثير في واقع الإنسان المعاصر؛ بل إنها كما يرى تعوق علاقته بالله؛ وعليه فلم تعد موضوعات علم الكلام القديم حقيقة موضوعية قابلة للتجديد مع المحافظة على بقاء الأصل القديم ثابتا شامخا، وأنت خبير بأن التجديد بهذا المعنى ليس تجديدا بقدر ما هو هدم ومحو لعلم الكلام، ولا يحقق التجديد من هذا المنظور نتائجه المرجوة، ولم يعد علم الكلام الجديد كوسيلة لتحقيق غاية بقدر ما هو هدم للوسيلة والأصل الذي من خلاله يتحقق الوصول إلى الغاية.

وفي هذا البحث سوف نتعرف على فكرة (النعماني) حول تجديد علم الكلام؛ كأول من استخدم هذا المصطلح، من خلال ما كتبه عن علم الكلام القديم، والطرح الذي قدمه في أبحاثه عن علم الكلام الجديد، وسنرى هل ما دعا إليه أو أضافه من موضوعات تستحق أن تكون ضمن موضوعات علم الكلام، أم لها علومها الخاصة التي تناقش من خلالها أو تتناول ضمن مباحثها.

خطة البحث:

ينقسم هذا البحث إلى: مقدمة، وفصلين، وخاتمة

أما المقدمة: ففيها تمهيد للموضوع، ومشكلة البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع فيه، ونبذة عن شبلي النعماني.

وأما الفصل الأول: علم الكلام بين التراث والتجديد، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم علم الكلام الجديد نشأته وتطوره.

المبحث الثاني: الفرق بين علم الكلام الجديد وتجديد علم الكلام.

والفصل الثاني: علم الكلام الجديد عند شبلي النعماني، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فكرة علم الكلام الجديد عند شبلي النعماني

المبحث الثاني: مسائل علم الكلام الجديد عند النعماني.

المبحث الثالث: وقفة نقدية مع تصور النعماني لعلم الكلام الجديد.

مشكلة البحث وأهميته:

تناول بعض الباحثين علم الكلام (التراثي) أو القديم، من حيث النشأة؛ فرأوا أنه نشأ في فترة مبكرة من العقل الإسلامي، كما رأوا أنه نشأ في ظل مجموعة من الأسباب والعوامل السياسية، والتي كان لها الأثر البالغ في نشأة وظهور علم الكلام؛ حيث تصدرت مسألة الخلاف حول (الإمامة) تلك الأسباب؛ وفي رأيهم أن هذه المسألة أصبحت هي الموجه الأول والسبب الرئيس في توجيه التفكير في بحث مسائل العقيدة الإسلامية؛ بل إن هذه المسألة كما يرى بعض من يدعون إلى تجديد علم الكلام كانت نواة مسائل أخرى لا تقل أهمية في بحثها عن هذه المسألة؛ حيث ظهرت التساؤلات المختلفة في فضاء الاختلاف السياسي؛ حتى قيل: إن الاختلاف الذي حدث في المجتمع الإسلامي؛ أدى إلى تطوير النقاش في المسائل العقدية، وأتت مسائل جديدة نحو: مرتكب الكبيرة، وخلق أفعال العباد، والصلاح والأصلح، وغيرها من المسائل الكلامية.

وما إن تحرك الإسلام خارج جزيرة العرب، وتم استيعاب شعوب مختلفة ومتنوعة في الثقافة والتدين؛ حتى واجهت المسلمين جملة من الاختلافات والآراء والأفكار، التي تعود في أصلها إلى الملل والنحل التي كانت معروفة في مثل هذه المجتمعات التي وفد إليها الإسلام، كما وفدت إلى تلك المجتمعات مسائل جديدة

لم تكن معروفة لديهم، ولم يكن عندهم عنها فكرة تذكر، نحو: حقيقة الإيمان، والصفات الإلهية، ومرتكب الكبيرة،
والعدل، والصلاح والأصلح وغيرها من المسائل الكلامية.

وأصبح تعدد الخلاف في هذه المسائل سببا لتكوين كل طائفة منظومة عقدية تمثل اتجاها مختلفا، يسعي أصحابه إلى إثبات أن تصورهم فيه هو الأحق بالاتباع، كما دعت كل طائفة إلى ضرورة استقطاب أتباع جدد لمؤازرة وتثبيت تصوراتهم حول المسائل الكلامية التي جعلوها أساسا في تكوين منظومتهم العقدية.

وأصبح علم الكلام كما يرى بعض دعاة التجديد، مزيجا من المفاهيم المنطقية والقضايا الفلسفية، التي كانت أثرا من آثار ترجمة علوم اليونان وعلى رأسها المنطق والفلسفة، في العصر العباسي، جراء انفتاح المسلمين على الميراث الثقافي للحضارة اليونانية، وغيرها من الفلسفات في بلاد الشرق والغرب، مما أدى إلى اختلاط علم الكلام ومسائله بكثير من مقالات أهل هذه الثقافات، وسرعان ما اكتسى علم الكلام كما يزعمون بهذه المقالات.

والنقطة الأهم في مشكلة هذا البحث وتكمن فيها أهميته، أن من دعوا إلى تجديد علم الكلام يرون أنه ظل جامدا منذ نشأته إلى يومنا هذا، كما زعموا مغالطة أن علم الكلام التراثي منذ نشأته وإلى الآن ظل منطويا على نفس المسائل التي كان مشتملا عليها منذ تكوينه ونشأته؛ حتى رأوا أنه دخل مسارا مسدودا دأب فيه على العودة إلى المسائل والأفكار نفسها، دون أن يتجدد خطوة واحدة إلى الأمام، على خلاف شتى العلوم الأخرى، التي نالها النصيب الأكبر من التجديد والتطوير والتقدم.

وكل ما يذكر عن علم الكلام لم يكن سوى الشروح والحواشي والهوامش على المسائل والأفكار التي كانت منذ نشأة علم الكلام، دون إضافة أي مسائل

جديدة أو أي أفكار من الممكن أن تعبر عن التقدم ولو قليلا في مسائل هذا العلم ومنهجه؛ اللهم إلا إعادة شرح وتفسير القضايا والمتون (الكلاسيكية) التي اشتمل عليها علم الكلام.

كما أن التأليف في علم الكلام من وجهة نظر من يدعون إلى التجديد؛ لم يشهد أي أعمالا إبداعية، وظلت كل المؤلفات بعد ذلك لا تعدو الشرح لمتون وقضايا سابقة، مما أدى إلى انتقال علم الكلام إلى مرحلة التدهور، التي زادت على ما يقرب من خمسة قرون تعطل فيها التفكير الكلامي، لم يتعدى فيها الباحثون سوى الإسراف في تدوين الشروح والهوامش، كما أدى بهم براعة القدماء إلى جعل هذه المتون والنصوص تأخذ طابع الأبدية والصلاح لكل زمان ومكان، ولا يجوز التفكير خارج إطارها؛ حتى قالوا: إن مهمة من يهتم بعلم الكلام استحالت إلى حراسة المتون الكلامية، ومقاومة أي محاولة للتفكير خارج نطاقها، وفي نهاية القرن الثالث عشر ظهرت بوادر أسئلة جديدة من الممكن أن تؤدي كما يزعمون إلى استفاقة في التفكير الكلامي، وبهذه الأسئلة يكون في الإمكان محاولة لمغادرة حالة السكون التي ظل عليها علم الكلام القديم فترة طويلة من الزمن، ولأجل هذا اهتم بعض الباحثين المهتمين بدراسة هذا العلم دراسة مسائل جديدة، وهي بمثابة دعوة إلى عهد جديد لعلم الكلام، وإحياء علم كلام جديد يناسب في مسائله ومنهجه وموضوعاته العصر الحديث وما فيه من علوم، وكذلك الدعوة إلى إعادة بناء علم الكلام من حيث المنهج والموضوع، وهو ما يعرف بعلم الكلام الجديد.

أسباب اختيار البحث:

١) التعرف على شخصية كان لها الأثر البالغ في الدعوة إلى تجديد علم الكلام؛ بل هو أول من أنشأ مصطلح (علم الكلام الجديد).

٢) مناقشة ما تضمنته أعمال الحوزات العلمية في البلاد المختلفة عن علم الكلام الجديد، ومدى الموضوعية في تناول القضايا الكلامية.
٣) مناقشة الدعوة إلى تجديد الأساس المنهجي لعلم الكلام، وإدراج موضوعات جديدة تتناسب مع الواقع المعاش، وظروف التقدم العلمي المشاهد.
٤) مناقشة فكرة عدم الفصل بين العلوم، وأن لكل علم مسائله وموضوعاته التي تتناول من خلاله، وأن مسائل مثل حقوق المرأة، وحقوق الإنسان، والميراث، هل تستحق فعلا أن تكون ضمن مسائل علم الكلام.
٥) مناقشة دعوى قصور علم الكلام ومسائله في تناول الموضوعات التي تخص الفرد والجماعة، والعلاقة بين الإنسان وربه، وأن الإنسان قد تاه بين القضايا المنطقية والمقالات الفلسفية.
٦) مناقشة الدعوة إلى جعل علم الكلام كأي فلسفة أخرى من حيث المسائل والموضوعات.
٧) مناقشة الخلط بين علم الكلام كعلم له أصوله ومنهجه ومسائله وبين الفلسفة الدينية التي جعلت الدين يتماثل مع الفلسفات المختلفة دون فصل أو تحديد.
٨) مناقشة بعض المسائل المختلفة مثل فلسفة الدين والتجربة الدينية، وهل من الممكن أن تنطبق على قضايا ومسائل علم الكلام.
٩) مناقشة الفرق بين تجديد علم الكلام، وعلم الكلام الجديد، وكيف أدى الخلط بين المفهومين إلى عدم الموضوعية في تناول قضايا ومسائل علم الكلام.

المنهج المتبع في البحث:

اعتمدت في بحثي هذا على منهج متكامل، يقوم على جوانب منهجية جزئية، يجمع في أركانه بين عدد من المناهج الجزئية التي يعالج كل واحد منها ما يناسبه من أجزاء البحث وأهمها:

١) المنهج التاريخي: وذلك في الترجمة لشخصية البحث، وكذلك في نقل الآراء والأقوال.

٢) المنهج الوصفي التحليلي: وقد استخدمته في جزء العرض والتحليل لآراء شبلي النعماني، وكذا آراء غيره من الباحثين الذين عنوا بالتجديد في علم الكلام.

٣) المنهج المقارن: وقد استخدمته في جانب المقارنة التي كنت أعقدها بين آراء النعماني وآراء غيره من الباحثين في علم الكلام؛ ليظهر أهم جوانب الاتفاق والاختلاف بحيث يتهيأ بعد ذلك مهمة النقد.

٤) المنهج التحليلي النقدي: وذلك في عرض المسائل العلمية المتعلقة بدعوى التجديد، التي رفع لواءها (شبلي النعماني) وتفنيد ونقد ما اشتملت عليه هذه الدعوى.

شخصية هذا البحث: (شبلي النعماني)

أولًا: اسمه ونسبه:

هو الشيخ محمد شبلي بن حبيب الله بن المنشئ حسن علي بن عباد الله بن كريم الدين بن محمد رضا بن محمد فخر جهان بن أمان الله بن محمد إسماعيل بن مهدي بن لال محمد بن أحمد بن سهراب بن شهباز بن شيوراج بن سراج الدين البندولي مولدا ومنشأ والنعماني مذهبا(١).

قال عنه عبد الحي اللكنوي: (الشيخ الفاضل العلامة شبلي بن حبيب الله البندولي النعماني فريد هذا الزمان، المتفق على جلالته في العلم والشان)(٢).

ينتمي شبلي النعماني، إلى قرية (بندول) إحدى قرى مديرية (أعظم كره) بولاية (أترابراديش) شمالي الهند، وتميزت هذه المنطقة بوجود وولادة كثير من أعلام ورجالات الهند في شتى العلوم. (٣)

ثانيًا: مولده:

ولد الشيخ شبلي النعماني في التاسع من شوال عام ١٢٧٣هـ الموافق لثاني من شهر (يونيو) حزيران ١٨٥٧م.

وصادف ميلاده الثورة الهندية الكبرى، التي قام بها المسلمون ضد الاحتلال الإنجليزي، وقد سماه والده محمد شبلي، ثم اقتصر على شبلي وأضاف إلى اسمه (النعماني) نسبة إلى مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وإن كان نسبه لم يصل إلى الإمام الأعظم على اتفاق بين المؤرخين له(٤).

(١) يراجع: شبلي النعماني علامة الهند الناقد الأريب، محمد أكرم الندوي، صـ١٦، الناشر دار القلم دمشق ط أولى ٢٠٠٢م.

(٢) يراجع: نزهة الخواطر، السيد عبد الحي الحسني، ١٧٤/٨، بدون.

(٣) يراجع: شبلي النعماني علامة الهند، صـ ١٨، سبق.

(٤) يراجع: المصدر نفسه، صـ ٢١.

وقد توفر للنعماني من أسباب التحصيل ما لم يتوفر لأقرانه؛ حيث ظفر إلى جانب تفوقه ونبوغه العقلي بشيوخ أكفاء في كل صنوف العلم، وغير ذلك فكان النعماني مطبوعا على الذكاء والنبوغ والفضل وحب العلم، والأدب، وعلوم الحكمة، والشرع(١).

ثالثًا: مذهبه العقدي والفقهي:

كان الشيخ النعماني أصوليا متكلما مدافعا عن مذهب أهل السنة والجماعة، مترددا بين الأشاعرة والماتريدية، مع ميل إلى مذهب أهل الحديث، كما كان يشيد بجهود الشيخ ابن تيمية، وكان في فروع الدين منتميا إلى المذهب الحنفي(٢).

رابعًا: أهم مؤلفاته العلمية:

صنف الشيخ شبلي النعماني في شتى فروع العلم؛ حيث كان موسوعي الاطلاع على شتى فروع العلم العربي والشرعي، وكان مطبوعا على الذوق في التأليف والكتابة ومن أهم آثاره:

- التعليم في العهود الإسلامية الماضية.
- حقوق الذميين
- مجالس المناظرة
- مكتبة الإسكندرية
- الانتقاد على لتمدن الإسلامي
- سيرة النبي والفاروق

(١) يراجع: شبلي النعماني علامة الهند، صـ ٧١، سبق..

(٢) يراجع: المصدر نفسه، صـ ١٩

- وأهم كتبه كتاب (علم الكلام الجديد) الذي تحدث فيه عن أهم الموضوعات التي يرى أنه لا بد أن تضاف إلى علم الكلام، مع جعلها من أهم مسائله الجديرة بالبحث والدراسة.

إلى غير ذلك من المؤلفات في شتى فروع العلم الشرعي.

خامسًا: وفاته:

بعد حياة عامرة بالتدريس والتأليف والتصنيف انتقل إلى جوار ربه في ضحوة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف ١٣٣٢هـ ١٩١٤م، وقد هزت وفاته الهند بأكملها(١).

(١) يراجع: شبلي النعماني علامة الهند، صـ ٦٧، سبق.

الفصل الأول

علم الكلام بين التراث والتجديد

المبحث الأول

مفهوم علم الكلام الجديد، النشأة والتطور

يرى بعض الباحثين أنه من الصعب تحديد مفهوم واضح لعلم الكلام الجديد، أو بمعنى آخر ليس من السهل وضع تعريف اصطلاحي لعلم الكلام الجديد؛ لأن كلمة (تجديد) في حد ذاتها تعد كلمة غامضة، ومن الممكن تفسيرها بأكثر من معنى من حيث اللغة، وإذا أردنا أن نضيف لفظة (الجديد) إلى علم الكلام فإن هذا سيؤدي إلى غموض كبير، الأصل فيه هو الخلط بين معنيين للتجديد في هذا العلم؛ لأن علم الكلام من الممكن أن يقبل التجديد من خلال معنيين:

الأول: "الوصف العام للتجدد" وهو يعني أن التجديد يدل على كونه حالة نسبية للتمييز بين مرحلتين في تكامل العلوم من حيث القدم والحدوث.

الثاني: "وصف خاص بالكلام لا يتضارب مع التعين المعرفي لعلم الكلام"[١]

وعلى هذا المعنى فالتجديد لا يختص بمقارنة زمانين للعلم؛ وإنما يرتبط بماهية العلم وخصائصه لتبقى الجدة ملازمة للعلم حتى وإن صار قديما في المستقبل، ولذلك نحن لا نستطيع بأي حال أن نسمي علم الكلام الجديد الذي ينشدونه بالقديم مستقبلا، ولذلك فإن التأكيد على لفظة (الجديد) مدعاة لظهور ووجود بعض الأخطاء التي تؤدي إلى نزاع كبير من حيث اللغة.

(١) يراجع: الهندسة المعرفية للكلام الجديد، أحمد قراملكي، صـ ١١٢، ط أولى، دار الهادي للطباعة والنشر ٢٠٠٢م.

إن التجدد في العلوم له معاني مختلفة؛ لأنه من الممكن أن يكون التجدد صفة عامة في كل العلوم؛ لأن كل فن من الفنون هو بالطبع متجدد عبر أزمنته المختلفة وأطواره المترتبة فكل علم من العلوم في تطور دائم وحراك مستمر، وهناك أيضا تجدد آخر في كل علم من العلوم ملخصه: أنه معنى خاصا في التجدد في العلم نفسه من الممكن أن يكون هذا في مواد العلم أو منهجه أو موضوعاته أو غاياته أو وسائله؛ لكن هذا لا يعني أن المضاف من المواد من الممكن أن تكتفي به بدلا عن العلم الأصلي؛ لأن هذا لم يقل به عاقل(١).

وهناك من يرى أنه من الممكن وضع تعريف لمفهوم علم الكلام الجديد ويعني به: ((دمج المسائل الجديدة واستيعابها في إطار المنظومة الموروثة لعلم الكلام))(٢)، ويعني أنه متى انضمت مسائل جديدة لعلم الكلام؛ فإن ذلك يعني تجديده أو تجدد هذا العلم.

ولا يخفى أن إضافة بعض المسائل الجديدة إلى علم ما لا يكون تجديدا؛ لكنه إضافة وتطوير في مادة العلم وموضوعاته، ولا يعني هذا طمث معالم القديم ومواده ومسائله التي كانت بمثابة الأصل للمسائل المضافة أو المواد الجديدة.

وهناك من يرى أن مفهوم علم الكلام الجديد لا يقتصر على إضافة بعض المواد أو المسائل إلى علم الكلام التقليدي ((التراثي)) وإنما مراده أنه يكون هناك مفهوما جديدا لعلم كلام جديد في المناهج والمسائل والموضوعات واللغة والمباني والهندسة المعرفية للعلم كعلم خاص بذاته لا يمت إلى العلم القديم بصلة؛ اللهم إلا من حيث الاشتراك في مجرد العنوان أو الاسم(٣).

(١) يراجع: المصدر نفسه، صـ ١٩

(٢) يراجع: تمهيد لدراسة فلسفة الدين، عبد الجبار الرفاعي، صـ٢٨٨، ط أولى دار التنوير للطباعة والنشر، بغداد ٢٠١٤م.

(٣) يراجع: علم الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، صـ ٤٣، الناشر مركز دراسات فلسفة الدين، ط أولى ٢٠١٦م.

وثمة تعريف آخر لمفهوم علم الكلام الجديد ساقه بعض الباحثين استخلاصا من بعض أفكار من اهتموا بهذا الموضوع الذي شغل حيزا كبيرا من فكر العلماء؛ خاصة المهتمين بعلوم الدين وعلى رأسها علم العقائد الدينية وينص هذا التعريف على أن مفهوم علم الكلام الجديد هو: ((مجموعة المباحث والحوارات التي تدور حول تبيين وتنظيم المحتويات الدينية والدفاع عنها))[1]، وهذا التعريف وإن كان قد أطلق على علم الكلام؛ إلا أنه من الممكن أن ينطبق على أكثر من علم من علوم الدين المختلفة، وهذا يدل على صعوبة تحديد مفهوم علمي يمكن الرجوع إليه لعلم الكلام الجديد الذي ينشدونه.

مفهوم علم الكلام الجديد عند شبلي النعماني:

أما عن مفهوم علم الكلام الجديد عند (النعماني) فإنه لم ينص صراحة على تعريف معين لعلم الكلام الجديد؛ حتى بعد أن ذكر أن علم الكلام القديم (التراثي) كما يرى لم يعد موافقا لموضوعات العلوم الحديثة في إقامة الحجة والإقناع وأن معظم حججه كانت تعتمد على الحجج العقلية القائمة على المنطق والجدل وغيرهما؛ إلا أنه يرى أن علم الكلام الجديد لا يمكن أن يكون بمعزل عن الكلام القديم، حتى وإن كانت مواده قد أعدت لوقت معين من الأوقات التي مضت؛ لكن هناك من المسائل الكلامية القديمة ما يستحق أن يكون موافقا للوقت الراهن ومن الصعب التخلي عنها، أما من يرون أنه لا بد من إقامة علم جديد للعقائد قائم على أسس وأصول جديدة بعيدة تماما عن الكلام التقليدي فرد عليهم قائلا: ((هذه الفكرة غير صائبة في رأينا؛ لأن قضايا علم الكلام القديم غير المقيدة في العصر الحاضر لم تكن كافية في بداية الأمر وكان جزء منها مفيدا

(١) يراجع: المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

في ذلك الوقت، والوقت الراهن أيضا وسيظل كذلك دائما؛ لأن صحة قضية ما لا تتغير بتقلب الزمان وامتداده))[١].

وخلاصة ما ذكرنا أن مفهوم علم الكلام الجديد يعني وجود علم كلام قائم على معالجة الموضوعات المستحدثة، ولذلك فالتجديد يشمل المنهج، والموضوع، والمسائل، والهدف واللغة، والمباني. [٢] وعلى ذلك فطبقا لتجدد المسائل لا بد من إضافة أو وجود مسائل جديدة لم تكن مطروحة من قبل في علم الكلام، وأما التجديد في الهدف فيتناول تجديد الغايات المعروفة من علم الكلام التي كانت تعني الدفاع عن العقائد إلى شرح وتفسير حقيقة الدين والإيمان، كما يعني التجديد في المنهج التحرر من (المنهج الآحادي والانفتاح على مناهج متعددة في البحث الكلامي تشمل: المناهج الهرمنيوطيقية، والسيميائية، والتجريبية، والبرهانية، إضافة إلى ظواهر النصوص، والحقائق التاريخية)[٣].

نشأة علم الكلام الجديد:

مما لا شك فيه أن إرجاع القول بعلم الكلام الجديد إلى شخص أو إلى عالم واحد هو قول لا يعد من الصواب في شيء؛ لأن هذا يعد قفزا على الحقائق التاريخية، ومجانبة وجهلا بالمعنى الحقيقي لعلم الكلام الجديد؛ لأن التجديد في علم من العلوم ليس مجرد قول أو تصديق على رأي لشخصية علمية، وإنما هو

(١) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ١٦، المركز القومي للترجمة، ط أولى ٢٠١٢م.

(٢) يراجع: تمهيد لدراسة فلسفة الدين، عبد الجبار الرفاعي، صـ٢٨٨، سبق.

(٣) يراجع: علم الكلام الجديد، صـ ٤٣، نقلا عن د/ أحمد قراملكي، الذي حلل مفهوم التجديد في علم الكلام على رأي من يقول بأن العلم الجديد سيكون منفصلا تمام عن العلم التقليدي (التراثي) يراجع: الهندسة المعرفية لعلم الكلام الجديد، أحمد قراملكي، صـ ١٢٠، سبق

مجموعة من العوامل والمجهودات العلمية والمعرفية المختلفة انطلقت في بيئة ساعدت على توافر المقومات والعناصر الرئيسية لهذا العمل، وبدونها يكون من الصعب إتمام مثل هذا العمل وعلى ذلك فالتجديد في علم الكلام ((مشروع تضافرت في احتضانه وتطويره مبادرات وجهود علمية ومعرفية، أسهم فيها رجال أدركوا مأزق التفكير الديني في الإسلام الحديث والمعاصر))[١].

بداية ظهور مصطلح علم الكلام الجديد:

بدأ هذا المصطلح لأول مرة كاتجاه حديث للبحث في علم العقائد أو علم الكلام على يد شخصية البحث (شبلي النعماني) الذي جعل هذا المصطلح عنوانا لكتابه (علم الكلام الجديد) الذي خصص الجزء الثاني منه للحديث عن علم الكلام الجديد الذي ينشده، هذا العلم الذي يرى أنه يضم مسائل جديدة لم تكن مطروحة من قبل في علم الكلام (التراثي) لأن علم الكلام التقليدي من وجهة نظره كان منصبا ومحصورا في تقرير العقائد الإسلامية كما كان مصمما للدفاع عنها؛ لأن المخالفين في ذلك العصر كانت كل شبهاتهم متعلقة بالعقائد، أما في الوقت الحاضر فلم تعد للشبهات القديمة مكان، وحلت محلها شبهات قائمة على البحث، والملاحظة، والتجربة، والقانون، والنظرية الاستقرائية، فلا بد حتما أن يشتمل علم الكلام على مسائل تعالج مثل هذه الشبهات الحديثة ولذلك يقول: ((لقد كانت المخاطر التي واجهت الإسلام في عصر الدولة العباسية لا تقارن بمثيلاتها في الوقت الحاضر؛ حيث انتشرت العلوم الغربية في كل بيت، وعمت الحرية الفكرية كل جوانب العالم، ففي العصور الأولى لم يكن قول الحق سهلا إلى هذا الحد مثل سهولة قول الزور في هذه الأيام))[٢].

(١) يراجع: علم الكلام الجديد، صـ ٤٥، سبق.

(٢) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ١٦، سبق.

وعلى الرغم من أن النعماني هو أول من استخدم مصطلح علم الكلام الجديد؛ إلا أنه لم يكن الوحيد الذي تحدث في علم الكلام الجديد كعلم له مناهج وأصول؛ فقد تحدث غير واحد من العلماء عن فكرة علم الكلام الجديد من خلال الدعوة إلى تجديد الفكر الإسلامي، وخاصة في علوم الأصول، وعلى رأسها علم الكلام، وفيما يلي نعرض لفكرة بعض العلماء عن علم الكلام الجديد، وفق تصوراتهم المختلفة ورؤاهم المتباينة.

السيد أحمد خان:

كانت دعوة السيد (السيد أحمد خان) إلى تجديد الفكر في العلوم الإسلامية بعد أن رأى الثورة العلمية الغربية قد وصلت إلى أوج مجدها؛ فشده ذلك إلى ضرورة تجديد شامل في العلوم(١)، ومنها(علم الكلام) ؛ حيث ذهب إلى أنه لابد من تناول المسائل الكلامية المختلفة تناولا جديدا يقوم على مناهج العلوم الحديثة؛ كالملاحظة والتجربة العلمية، كما اتجه إلى تفسير الآيات تفسيرا علميا بجانب التفسير التراثي، وحين تناول المسائل الكلامية الكبرى مثل: النبوة، والوحي وغيرهما تناولها تناولا علميا يقوم على المزج بين التراث والمعارف الحديثة، وهو ما أدى إلى أن تكون النبوة عنده ملكة طبيعية يتطلب تحقيقها بيئة ومناخا خاصا(٢).

(١) يراجع: فيض الخاطر، أحمد أمين، ج٥ صـ ٢٧٥، بتصرف، نشر مؤسسة هنداوي للنشر، فالسيد (أحمد خان) كما يقول: أحمد أمين يرى: أن ((ليس العلم نظريات محضة، وإنما هو علم وتجار واستنتاج من الواقع، فيجب أن تقابل ظروفنا ببحث واجتهاد في حياتنا)) نفس الصحيفة.

(٢) يراجع: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، د/ محمد البهي، صـ٣٠، الناشر مكتبة وهبة، ط ثالثة بدون.

ولا يخفى كم التضليل الذي تسبب فيه السيد (أحمد خان) حين فسر القرآن تفسيرا علميا؛ لأنه وإن كان في ظاهر فعله الرحمة؛ لكن في باطن ما فعله العذاب؛ لأنه نادى بالطبيعة الطبيعة ولا وجود لفكرة الإله إلا من خلال الطبيعة فهو كما يرى بعض العلماء أنه ((لا وجود إلا للطبيعة العمياء وليس لهذا الكون إله حكيم ... وأن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله الذي جاءت به الشرائع))[١]، فعلى حين أن البعض يرون فيه المتكلم الحديث الذي أسس لنظريات جديدة في الفكر والكلام[٢] يراه جمهرة من العلماء أنه من أوائل الدهريين في العصر الحديث، وليس أدل على ذلك من أن السيد (جمال الدين الأفغاني) وهو من معاصري (خان) أعد رسالة (الرد على النيشريين)[٣] أو (الرد على الدهريين) خصيصا للرد على آرائه ومقترحاته في العلوم الإسلامية وعلى رأسها علم الكلام، وعلم التفسير الذي نحا فيه منحى طبيعيا خالصا؛ يقول الشيخ محمد عبده: ((فقام الأفغاني بالرد على هذا الرقيم من خلال هذه الرسالة، التي سعت للرد على النيشرية، الانتقائية التي أخذ بها السيد (أحمد خان)))[٤]، حين فسر النبوة تفسيرا طبيعيا بأنها: ملكة طبيعية يتطلب تحقيقها بيئة ومناخا خاصا، وأن الوحي عبارة عن: نشاط العقل الإلهي في النفس[٥] فالنبوة عنده: (غاية تحصل وتكتسب عن طريق الرياضة النفسية، فهي غاية إنسانية طبيعية، وطريقها طريق إنساني غير

(١) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

(٢) يراجع: السيد أحمد خان ومدرسة الإسلام التعددي، مقال منشور على موقع (حفريات) للدكتور/ عبد الجبار الرفاعي.

(٣) تعني كلمة (نيشر) في الهند الطبيعة أو المادة.

(٤) الرد على الدهريين، السيد جمال الدين الأفغاني، ترجمة الإمام/ محمد عبده، صـ ٤٠، تحقيق: أحمد ماجد، ط دار المعارف الحكمية، لبنان، ط أولى ٢٠١٧م.

(٥) يراجع: الفكر الإسلامي، د/ محمد البهي، صـ ٣٢، سبق.

خارق للعادة)[١]، تلك هي آراء السيد (أحمد خان) في المسائل الكلامية التي تدعو إلى التحلل الديني والخروج من ربقة الدين الحنيف من خلال الدعوة إلى جعل كل المسائل طبيعية مادية فحسب.

محمد إقبال: نحو بناء فلسفة بديلة للدين:

مع السيد (محمد إقبال) نتجه إلى مرحلة أخرى من مراحل الدعوة إلى التجديد في علم الكلام أو إن شئت قلت: التخلي الكامل عن علم الكلام (التراثي) أو التقليدي الذي نعرفه، ودخول فلسفات دينية جديدة، تهتم بالدين كتجربة وليس كعقيدة لها مناهجها وأصولها؛ ليدخل إليها علوم وفلسفات وافدة من بعض الغربيين؛ لذلك فإنه كما يرى الرفاعي يسعى إلى: ((زحزحة علم الكلام القديم، وتمحورت جهوده على بناء فلسفة بدلية للدين، ليست مكتفية بذاتها، وإنما اغتنت بما استوعبته وتمثلته من معارف الآخر))[٢].

وعندي أن المعرفة التي يقصدها (إقبال) ما هي إلا تطبيق حرفي لما دعا إليه (أحمد خان) من التخلي عن التراث ككل، وأن يحل محله تطبيق العلوم الغربية الحديثة والفلسفات الطبيعية على علوم الإسلام وأصوله، وفي مبحث قادم سنتعرف على المسائل التي احتوت عليها فكرة (إقبال) وغيره، هل هي من صميم علم الكلام، أم هي مجرد محاكاة لفلسفة الدين التي دعا إليها بعض علماء الغرب، الذي انبهر به وبعلومه (إقبال) وغيره.

يسعى (إقبال) إلى بناء علم موازي لعلم الكلام؛ بل علم ناسخ لعلم الكلام (التراثي) هو فلسفة الدين؛ حتى يستطيع أن يطبق مناهج ومواد العلوم الحديثة على الدين، ولذلك يقول: ((عمدتُ إلى بناء الفلسفة الدينية الإسلامية،

(١) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

(٢) الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، صـ ٤٦، سبق.

محافظا على روحها الأصيلة من ناحية، مسترشدا بأحدث التطورات في مختلف ميادين المعرفة الإنسانية من ناحية أخرى))[١].

وقد جعل (إقبال) متكئه في الدعوة إلى التجديد أن الفكر والتطور العقلي لا يقف عند حد معين، أو زمان معين؛ لأن الفكر في تطور مستمر، وهذا يشمل كل العلوم بما فيها علم الكلام، ولذا يقول: ((علينا أن نتذكر أنه لا يوجد شيء نهائي في التفكير الفلسفي، فكلما تقدمت المعرفة؛ تنفتح آفاق جديدة للفكر))[٢].

وكما أخفق السيد (خان) في تأويله للمسائل الكلامية، والآيات القرآنية، كذلك فعل (إقبال) فقد جانبه الصواب وأخفق في مسعاه تحو تأويل الآيات القرآنية وفق مقولات فلاسفة الغرب؛ خاصة الفلاسفة (الألمان) الذين تأثر بهم (إقبال) تأثرا كبيرا في تناوله للفكر الديني، أو علوم الدين ولذلك يرى (الرفاعي) أن حشد (إقبال) لهذا العدد الكبير في كتابه ((يشي بموقف إيجابي من الفلسفة والمعارف الغربية الحديثة))[٣].

ولا نحتاج إلى مزيد بيان في التعرف على خلاصة فكر (إقبال) وكيفية تناوله لمعارف الدين أو العلوم الدينية؛ حيث يرى أن العلماء الأوائل قد أغوتهم سطوة الفكر القديم، وتناولوا القرآن الكريم في ضوء المعارف اليونانية القديمة، ولذلك يقول: ((وهذا ما اعتقده كلية دارسوا القرآن من المسلمين الأوائل، الذين سحقتهم سطوة الفكر الكلاسيكي؛ فقد قرأوا القرآن على ضوء التفكير اليوناني))[٤].

(١) تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال، صـ ١٠، ترجمة محمد عدس، تقديم، الشيماء الدمرداش، دار الكتاب المصري، ٢٠١١م.

(٢) المصدر نفسه، صـ ١١، سبق.

(٣) الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، صـ ٤٧، سبق.

(٤) تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال، صـ ١٨، سبق.

فهو يحذوا حذو من سبقه ومشى على نفس الدرب، وكل همه تحويل العلوم الدينية، ومنها علم الكلام، إلى مزيج من أقوال الفلاسفة الغربيين، وبعض النظريات الحديث وفق المنهج الاستقرائي الحديث، والمسائل العلمية البحتة.

وحيد الدين خان، وعلم الكلام الجديد:

أما (وحيد الدين خان) فقد دعا إلى ضرورة التحلل من مسائل ومنهج علم الكلام (القديم) الذي لم تعد مسائله مناسبة للعصر ومناهجه الحديثة، التي تؤمن بالعلم إيمانا كاملا، وأنه لا بد من خلق مناخ وأفق جديد للبرهنة على حقائق الدين من الوجهتين: الفكرية العقلية والتجريبية العلمية، ولذلك فهو يرى أن لا بد للباحثين إذا أرادوا الدفاع عن الدين من خلال العلوم الحديثة ((ألا يغيب عن أذهانهم هذا التفسير (المادي) سواء اعتبرناه تفسيرا علميا محضا، توصل إليه المفكرون المحدثون، أو اعتبرناه مجرد ملجأ جميل ركنوا إليه؛ حين اخفقوا في البحث عن التفسير المادي للكون))[١].

وعموما فإن مجمل ما فعله (وحيد الدين خان) ما هو إلا محاولة لفهم وتفسير العقائد الدينية في ضوء معطيات العلم الحديث ومناهجه المختلفة، أو إن شئت قلت: التوفيق بين الدين والعلم؛ لكنه لم يوفق في البحث عن علم بديل لعلم الكلام يكون ذا أصل ومنهج نستطيع الاعتماد عليه؛ كعلم موازي لعلم الكلام، جديد المسائل جديد المنهج، ولا عجب أن يذكر بعض العلماء أن كتابه (الإسلام يتحدى) ظل مهملا طيلة أربعين عاما لا يهتم به أحد غير محاولة ترديد العنوان؛ كبحث ضمن البحوث التي تهتم بالمنهج العلمي الحديث[٢].

(١) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، صـ ٦، تعريب: ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق د/ عبد الصبور شاهين، دار البحوث العلمية، الكويت، بدون.

(٢) الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، صـ ٤٨، سبق.

أمين الخولي، وعلم الكلام الجديد: (١٨٩٥- ١٩٦٩م)

لم تكن الدعوة إلى علم الكلام الجديد في (الهند) و(إيران) فقط؛ بل امتدت الدعوة لتصل إلى الدول العربية، كانت هناك بعض المحاولات لبعض العلماء منهم: (أمين الخولي) الذي دعا إلى تجديد الاعتقاد، وأن التطور غير محصور في العلوم العملية (الفقه) فقط؛ بل من الممكن أن يمتد إلى علم العقائد بصفته علم ككل العلوم التي تدرس؛ فالتطور في نظره سنة شاملة لكل العلوم سواء اللغة، والأدب، والاعتقاد، والأخلاق، وغيرها، ولذا طالب باقتفاء الخطة الحرة التي أسسها من سبق في كل العلوم، والتحرر من المذهب الواحد(١).

وفي نفس الوقت الذي دعا فيه (الخولي) إلى أن التجديد ضرورة شاملة لكل العلوم؛ يدعو كذلك إلى رفض أية قراءة غير تاريخية للنصوص الدينية، كما أنه ينظر إلى التراث بوصفه محكوما عليه ((بعوامل وظروف خاصة مولدة له، تتناسب مع ضرورات ومشروطات زمانية ومكانية تفرضها كل حقبة تاريخية))(٢)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل إنه أحال الاختلاف في المسائل العقدية بين المتكلمين إلى الخلاف بين البيئات والزمان والمكان، وهذا من وجهة يوحد بين التغير والتطور(٣)، ولا يخفى الفرق بين التطور والتغير؛ لأن التطور في الفكر مما لا ينكره عقل، وتناول المسائل بمناهج مختلفة بين المتكلمين لا يعني تغيرها، ولا يعني هذا أن الاختلاف بين العلماء في المسائل الكلامية راجع إلى الاختلاف في البيئات الاجتماعية والنظم السياسية كما يدعي(٤).

(١) مناهج تجديد، أمين الخولي، صـ ٤٦، بتصرف، كتاب ضمن مجموعة مطابع جريدة الأهرام، رمضان ١٣٨٤هـ، ٢٠٠٣م.

(٢) المجددون في الإسلام، أمين الخولي، صـ ٥٩.

(٣) المصدر نفسه بتصرف، صـ ٦٠وما بعدها

(٤) المصدر نفسه، صـ ٥٩.

المبحث الثاني

الفرق بين علم الكلام الجديد وتجديد علم الكلام

على الرغم من أن النداءات ازدادت في الآونة الأخيرة إلى ضرورة وجود علم كلام جديد، وأنه أصبح من الأهمية بمكان، أن يتواجد علم كلام جديد يستطيع من خلال مسائله، أن يقوم بالرد على الشبهات الحديثة، التي وجدت من جراء التطور الهائل في العلوم التجريبية؛ إلا أنه رغم هذه الأهمية التي قال بها بعض الباحثين اختلف الناس كما يقول النعماني: ((في الأصول: فتنادى جماعة من المتعلمين الجدد بضرورة أن يقوم علم الكلام الجديد على أصول جديدة تماما))[١]، وعلى هذا الرأي فلا بد من وجود علم كلام جديد يحاكي ويجاري العلوم التجريبية الحديثة؛ لكي نستطيع البرهنة الحقيقية على قضايا الدين أو القضايا المتعلقة بالاعتقاد، من خلال تفسير هذه القضايا في ظل المناهج والعلوم الحديثة، والسبب كما يرى (النعماني)؛ ((لأن نوعية الانتقادات التي كانت توجه ضد الإسلام في العصور السالفة، تغيرت أشكالها في العصر الحديث، ففي العصور الأولى كانت مواجهة فلسفة اليونان قائمة على مجرد قياسات وظنون؛ بينما هي اليوم قائمة على التجربة والبديهيات؛ لهذا لا يمكن أن نقابلها بالقياسات العقلية، والاحتمالات والظنون))[٢]، وهذا ما أكد عليه غير واحد من العلماء مبينا ضرورة وجود تحول شامل في العلوم والمسائل الكلامية، وتأسيس كلام جديد يحتوي على مسائل لم تكن موضع اهتمام في الكلام (التراثي) التقليدي[٣]، وبناء عليه فإن علم الكلام الجديد لا يشارك الكلام القديم إلا في اللفظ والعنوان، فهو علم حديث الظهور،

(١) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، د/ قراملكي، صـ١١٠، سبق

(٢) علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ١٤، سبق.

(٣) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، أحمد قراملكي، صـ ١٠٩، سبق.

له الاستقلالية التامة عن علم الكلام القديم، وهو كما يقول (قراملكي): ((لا علاقة له بعلم الكلام الدارج في الثقافة الإسلامية القديمة))[١].

لكن النعماني مع هذا يرى: أنه لا يمكن أن يكون الكلام الجديد رغم اشتماله على مسائل وقضايا كلامية جديدة، بمعزل عن أصول ومبادئ الكلام (التراثي) وأن فكرة وجود علم كلام منعزل تماما عن الكلام (القديم) هذه الفكرة غير صائبة ((لأن قضايا علم الكلام القديم غير المقيدة في العصر الحاضر، لم تكن كافية في بداية الأمر، وكان جزء منها مفيدا في ذلك الوقت))[٢] يقصد أن التطور سنة في كل العلوم، وأن قضايا علم الكلام القديم، كانت مفيدة في وقت كان جل اهتمام علماء الكلام فيه، هو تقرير وعرض مسائل الاعتقاد، والذب عنها، ضد المنكرين لها، في الوقت الذي ألف فيه علم العقائد، وهذا يعني أنه ليس هناك ما يعرف بعلم كلام جديد وكلام قديم، وإن كان هناك اتفاق بوجود تجديد في علم الكلام؛ إلا أنه بمعنى التطوير الي يشمل كل العلوم، وليس علم الكلام فحسب.

أما أصحاب الاتجاه الثاني في هذا الموضوع فيرون: أن إطلاق صفة الجديد على علم الكلام الحالي، إنما هو من باب المسامحة والمجاز؛ فإن علم الكلام الجديد هو هو علم الكلام القديم، من حيث أضلاعه ومسائله وأبعاده، ولا يختلف عنه إلا في ((اشتماله على مسائل جديدة لم تكن موجودة سابقا، فالجدة من وجهة النظر هذه لا مبرر لها سوى بعض المسائل الكلامية الجديدة، التي تطرح في صورة شبهات، يتصدى المتكلمون لتفنيدها على أساس من المباني والأساليب التقليدية تمام))[٣]، وفي ضوء هذا الرأي فإنه ليس ثمة علم جديد قد

(١) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

(٢) يراجع: الهندسة المعرفية لعلم الكلام، د/ قراملكي، صـ ١١٠، سبق.

(٣) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

ظهر كلية في كل عناصره؛ لأن الحقيقة أن علما جديدا لم يحدث أبدا، وإنما هناك مسائل جديدة من الممكن أن تظهر وتستجد من خلال إضافتها إلى المسائل الكلامية السابقة، وهو ما نعنيه بوجود التطور والتكامل بين مراحل العلم المختلفة؛ لكن هذا لا يعني ظهور علم جديد تمام يختلف في منظومته عن الكلام التقليدي(١).

وفي ظل هذين الرأيين؛ اتجه بعض الباحثين إلى طرح سؤال من الأهمية بمكان وهو: ((هل يوجد لدينا علم كلام قديم، وعلم كلام جديد؟ وإذا كان كذلك، ما هو عنصر الجدة في علم الكلام؟ هل هو تجدد المسائل، أم الهدف، أم الموضوع؟ أم أن الأمر يتعلق بالمنهج أو اللغة أو المبادئ، أو أن التجديد يرتبط بالهندسة المعرفية لعلم الكلام، أو أن ملاك التجديد يحتوي على أكثر من عنصر))(٢).

وفي ضوء هذا السؤال يمكننا الوقوف على أكثر من عنصر دار حوله النقاش؛ لتتضح رؤية من قالوا بالتجديد، وأن ما توصل إليه أصحاب فكرة الكلام الجديد، هل نسخ القديم؟ أو بمعنى آخر هل ما تم عرضه من مسائل وفق رؤية أهل الكلام الجديد يستحق أن يكون بديلا لعلم الكلام (التراثي).

متعلق التجديد في علم الكلام:

هل وصف الكلام بالجديد هل هو وصف لحال الشيء أم وصف لحال متعلقه؟ وما هو المتجدد الحقيقي في علم الكلام؟ وبناء عليه سيتضح للقارئ هل ما ينشده أهل الكلام الجديد هو علم خاص بذاته مغاير لعلم الكلام التراثي؟ أم أن الأمر لا يتجاوز الإيهام في الانفصال بين القديم والجديد.

(١) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

(٢) دراسات في الفكر الديني، محمد شقير، صـ ١٤، سبق.

التجديد في المسائل:

يذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن الكلام الجديد ما هو إلا المسائل الجديدة، تلك التي استجدت من جراء التطور الحديث في العلوم التجريبية القائمة على الاستقراء، وبهذا فإن الكلام الجديد من وجهة النظر هذه، إنما هو تسمية للشيء بأحد أضلاعه وهي المسائل، ولذا فإن ((إطلاق صفة الجديد على علم الكلام، يأتي من باب المسامحة والمجاز، ولا فرق بين الكلام القديم (التراثي) والجديد غير إضافة بعض المسائل))[١].

وخلاصة هذا القول: أن ثمة طفرة معرفية وفكرية عل مستوى المعارف البشرية، ومن جراء هذا تختلف التناولات المختلفة للمسائل العقدية، بين أهل الدين أو العلوم الدينية وبين أصحاب هذه المعارف، وحينها تُطرح أسئلة جديدة تماما، لم تكن لها سابقة في علم الكلام التراثي القديم، ((بحيث أن المتأمل في المسيرة التطورية لعلم الكلام؛ يلحظ وجود مساحة خصبة ومختلفة كثيرا عما عداها، مما قد يبرر منهجيا الفصل بين هذه المرحلة الكلامية عن سابقتها؛ لتلبس ثوب الكلام الجديد))[٢].

ولكن هل هذه المسائل التي استجدت في العصر الحديث، من الممكن أن تمثل علما مستقلا بذاته له أصول ومناهج جديدة، يمكن أن يتم من خلاله نسخ علم الكلام القديم، الحقيقة أن هناك غير واحد من العلماء يرى أن هذا مجرد خيال ووهم؛ لأن ((الكلام القديم والجديد يشتركان في الموضوع، والتعريف، والغاية، وحتى في أساليب الاستدلال، والفارق الوحيد بينهما في المسائل فقد؛ خصوصا المسائل السلبية ومبادئ الاستدلال))[٣].

(١) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ ١١٧، سبق.
(٢) دراسات في الفكر الديني، د/ محمد شقير، صـ ١٥، سبق.
(٣) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ ١١٨، سبق.

وتبقى أهم الانتقادات التي وجهت إلى أهل هذا الرأي أن: حصر ووقف التحول في العلوم على التحول في المسائل؛ إنما يعني الاختزال التام لباقي الوجوه التي تعد ركائز أساسية لكل علم، كما أن ظهور المسائل الجديدة في علم الكلام؛ لا يعني علم جديد؛ لأن التطور يمثل حركة تكاملية تاريخية لعلم العقائد، وهذا يمثل ديناميكية وتطور العلم الداخلي أي: وجود تطور وتلاحم بين مسائل العلم الواحد؛ لكن المسائل الجديدة لا تعني نسخ القديم والتحول عنه كلية من أجل تحقيق معنى الجدية، وعليه فلا يعني وجود مسائل جديدة وجود علم كلام جديد. (١)

التجديد في الموضوع:

يتجه أصحاب هذا الرأي ومنهم (شبلي النعماني)(٢) إلى أن مفهوم علم الكلام الجديد إنما يقصد به التجديد في الموضوع، بمعنى أن موضوع الكلام الجديد إنما هو، المسائل الجديدة التي استجدت في الثقافة الإسلامية؛ والسبب في ذلك: أن علم الكلام المعروف إلى الآن لم يتجه أو يتطرق إلى المسائل والموضوعات الحديثة، التي وجدت في النصوص الدينية، على الرغم من أهميتها وضرورتها في واقع الإنسان(٣) كما لم يهتم الكلام القديم بالقضايا ((الوصفية الواقعية مثل (وجعلنا من الماء كل شيء حي)، و(وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان)، وإنما خاض في أهمها كصفات الباري

(١) المصدر نفسه، صـ ١١٩، دراسات في الفكر الديني، د/ محمد شقير، صـ ١٥، والذي يرى: أن من غير الممكن إغفال الأبعاد المعرفية الكاملة لعلم، والإبقاء على أحد أضلاعه ليمثل صور العلم كاملة؛ لأن غير الممكن إطلاق الكل على أحد الأجزاء، كما أن الجدة في المسائل لا تعني التبرير المنهجي لعملية فصل القديم عن الجديد.

(٢) علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ١٠٧، سبق.

(٣) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ ١٢٢، سبق.

والنبوة العامة، والخاصة، والمعاد))[١].

كما يرى أصحاب هذا الرأي أن هناك اختلاف جذري بين ((المركز المحوري الذي كانت تدور حوله الأبحاث الكلامية سابقا، وبين المركز المحوري الذي تدور حوله هذه الأبحاث حاليا، وهذا ما يبرر الفصل بين الكلام القديم، والكلام الجديد))[٢].

وقد وجه إلى هذا الرأي أكثر من انتقاد، يبقى أهمها أن علم الكلام القديم قد اهتم بكل أشكال المعرفة الدينية والقضايا الهامة؛ حتى إن (الفارابي) في تعريفه لعلم الكلام كان تعريفا يدل على شمولية الكلام لكل القضايا المعرفية والقضايا الدينية، فهو يقول: ((الكلام صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء، والأفعال المحدودة، التي صرح بها واضع الملة، وتزييف ما خالفها من الأقاويل))[٣] كذلك فإن علماء الكلام لم يغفلوا مناقشة القضايا الفكرية المتنوعة على طول المراحل المختلفة لعلم العقائد، ولا يخفى أن مسائل مثل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشفاعة، والبداء، والسعادة والشقاوة، والآجال والآلام، وفوائد البعثة، والحسن والقبح، وغيرها من المسائل، كانت محل اهتمام علماء الكلام خلال مراحل تطور البحث في علم العقائد[٤]، ويرجع سبب توهم بعض الباحثين أن المتكلمين لم يدرسوا القضايا الواقعية المهمة؛ هو انحصار الاهتمام ببعض النصوص التقليدية الكلاسيكية، في القرن السابع، والثامن الهجريين، كما أن القضايا الواقعية التي يطالب بها (النعماني) وغيره من العلماء، كي تكون ضمن

(١) دراسات في الفكر الديني، محمد شقير، صـ ١٦، سبق.

(٢) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ ١٢٢، سبق.

(٣) إحصاء العلوم، الفارابي، صـ ١٣١، تحقيق: عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨م.

(٤) يراجع: الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ ١٢٣، سبق.

قضايا علم الكلام، قد تناولها القرآن الكريم دون أن يكون هناك تمييز فيها بين المهم والأهم، وبطبيعة الحال؛ فإن قضايا علم الكلام مأخوذة من القرآن الكريم كمصدر أول وهام للقضايا العقدية، فعلى أي أساس يكون التمييز بين القضة المهمة وغير المهمة في علم الكلام؟(١)

وخلاصة الأمر: أنه مع أهمية التجديد في موضوع علم الكلام؛ كتطوير للمسائل والقضايا الكلامية؛ لكن

ليس من الصحيح حصر التجديد في علم الكلام على هذا الجانب، أو ذاك الركن من علم الكلام؛ لأن التحول والتجديد في ركن ما يستدعي التجديد في باقي أركان العلم وعناصره(٢).

التجديد في المنهج:

وتوضيحه: أن المتكلمين القدامى، كانوا يستعملون ويعتمدون على منهج واحد، وأفكار متشابكة معقدة، ومصطلحات منطقية دقيقة، يصعب على الفرد التيقن من صحتها، أو الإيمان بها، كما كانت تصيبه بالرهبة، مع عدم إيمانه، أو تيقنه من صحة ما في هذه القضايا أو تلك المسائل التي تمس الجانب العقلي أو القلبي، في معالجة القضايا والمسائل الكلامية(٣)؛ لكن المتكلمين اليوم يستخدمون أكثر من منهج وأكثر من طريق أثناء معالجة المسائل الكلامية، ورغم ضرورة التعدد في المنهج عند تناول المسائل الكلامية؛ إلا أنه من الصعب حصر

(١) يراجع: المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

(٢) يراجع: المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

(٣) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ١٨١، حيث يرى أن علم الكلام القديم كان يستخدم فيه المقدمات المعقدة المتشابكة، كما كان يعتمد على المصطلحات المنطقية الصعبة، والأفكار الدقيقة، والتي باتت من الصعب مجابهتها، ولا عجب فقد أصيب الناس أمامها بالصمت والرهبة، رقم عدم تيقنه من صحة هذه المسائل.

التجديد في علم الكلام على هذا الركن، وغير ذلك فإن التوهم بأن المتكلمين القدامى كانوا يعتمدون على منهج واحد تعوذه الدقة التاريخية؛ لأن ((المتكلمين لم يكونوا أبدا مقتصرين على منهج وأسلوب واحد))[١]، وليس هناك على هذا الكلام ما يوجب التخلي عن علم الكلام التراثي؛ حتى وإن تعددت المناهج التي يستخدمها متكلمو العصر الحديث؛ فلا يعني التطور في المنهج الانسلاخ أو النسخ للعلم القديم[٢]؛ لأن شرح وتفسير أو عرض وتقرير العقائد لا يمكن أن يتخلى فيه عن الموروث التراثي من حيث: الأصول، والمناهج، التي استخدمها العلماء في العصور السابقة، وليس كما يرى بعض الباحثين أن: علم الكلام القديم لم يعد الناس بحاجة إليه بقدر ما كانوا يحتاجونه في الماضي؛ لأنه أي: علم الكلام التراثي أصبح ((قاصرا عن الوفاء بالمتطلبات العقدية للمسلم اليوم))[٣].

التجديد في التوجهات:

تخلص هذه الرؤية إلى أن: المتكلمين القدامى، كانت توجهاتهم مباشرة، شأنهم في ذلك شأن أرباب كل العلوم التي كانت موجودة ومتداولة آنذاك، فلم يكن عند المتقدمين ((التوجهات التاريخية التي يستخدمها أهل الدين اليوم، وهي تعني: تفسير الحقائق الدينية من خلال أساليب تاريخية مقارنة، وتوجهات من داخل الدين، ومن خارجه))[٤]، وعندي أن المقصود من مثل هذه التوجهات الجديدة هو: تفسير وجعل المسائل العقدية مرتبطة ببعض النظريات التي استحدثها بعض أهل العلوم، مثل: علماء النفس، والاجتماع وغيرها[٥]، ومنها

(١) المصدر نفسه، صـ١٢٦.
(٢) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ١٦، سبق.
(٣) الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، صـ٢٢، سبق.
(٤) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ١٢٨، سبق.
(٥) دراسات في الفكر الديني، حسن يوسفيان، صـ ٣٦، سبق.

يفهم أن الدين أصبح تجربة يناقش من خلالها مدى تأثر الإنسان بالدين كتجربة وليس نظام إلهي ساقه الله لهداية الناس جميعا.

كما أن من هذه التوجهات، تفسير وفهم المسائل الكلامية، ((والظواهر الدينية في ضوء المعطيات العلمية الحديثة))[١]، ومهما يكن من أمر فمن الصعب أن يطلق علم الكلام الجديد على مجرد الفرق في التوجهات بين الكلام التراثي، والكلام الجديد.

التجديد في لغة العلم:

أما التجديد في اللغة فالمقصود به: معالجة القضايا العقدية، من خلال لغة جديدة تهتم ببحث المسائل الكلامية، وفق الجوانب التاريخية، والحضارية، والأخلاقية للدين[٢]، والمتكلم الجديد كذلك هو الواسطة بين الوحي الإلهي، وأذهان وقلوب المخاطبين بهذا الوحي، أو المكلفون بتنفيذ ما جاء في هذه النصوص الإلهية[٣]، ورغم أن لغة علم الكلام التراثي كانت تتناسب مع مخاطبيها في ذلك الوقت؛ أما المتكلم المعاصر ((فيحتاج إلى لغة حديثة تتناسب مع أذهان ولغات مخاطبيه اليوم))[٤]، وقد أشار بعض الباحثين إلى أنه من الممكن تفسير التجديد في اللغة على مستويين:

الأول: هو الصورة المعرفية للموضوع، وهي تعني أن تتوفر لدى المتكلم الحديث اللغة الحديثة التي تتناسب مع حال المدعويين[٥]، وأن يكون على وعي تام بما يتناسب مع حالهم من لغة وأسلوب، وقد جاء هذا في قول الله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن).

(١) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ ١٢٨، سبق.
(٢) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ١٨١، سبق.
(٣) يراجع: الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ١٢٨، سبق.
(٤) دراسات في الفكر الديني، محمد شقير، صـ ١٩، سبق.
(٥) يراجع: المصدر نفسه، ١٢٩.

الثاني: وهو ما يسمى بالفهم الجديد، أو القراءات الحديثة للنص الديني، أو الوحي الإلهي، وهذا المعنى ناتج عن ((التحولات التي تشهدها سائر الأبعاد المعرفية لعلم الكلام))[١].

وخلاصة هذا الرأي أن: التجدد في اللغة، ما هو إلا التغير في التعبير الاصطلاحي للمسائل الكلامية، من خلال الشرح والتفسير وفق لغة جديدة تتناسب مع حال من يوجه إليهم الخطاب الديني في العصر الحديث[٢].

لكن لا يعني التجدد في اللغة، أو التعبير عن القضايا الكلامية التبرير لـ ((الفصل المنظومي في بنية الكلام؛ بل هو أحد وجوه الجدة الكلامية، التي تحكي عن تغيرات على مستوى المضمون والمنهج ... وعليه ليس من الصحيح جعل التجدد اللغوي ملاكا للتجدد الكلامي))[٣].

ولا تعني القراءة الوافية، والتدقيق في المعاني، أو معالجة القضايا وفق تصور لغوي جديد أن ينمي لدى البعض، الرغبة الملحة في فصل الكلام الجديد عن أصله القديم، أو جعل الكلام الجديد خارجا عن نطاق الكلام التراثي؛ حتى وإن كانت اللغة التي يعالج بها القضايا لغة جديدة؛ لأن اللغة التي عالج بها المتقدمون القضايا كانت مناسبة لأهل هذه العصور، وكانت التصورات واضحة ووفية بما يتناسب وحال هؤلاء.

التجديد في المباني والمبادئ:

وهو يعني: التجديد في المبادئ التصديقية، والتصورية لدى المتكلم الجديد، تلك المبادئ التي يستخدمها المتكلم أو يضطر إلى استخدامها في تأملاته

(١) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

(٢) يراجع: دراسات في الفكر الديني، محمد شقير، صـ١٩، سبق.

(٣) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ ١٢٨، سبق.

الفلسفية والعقلية[١]، ولا يخفى أن المتكلمين القدامى كانوا يستخدمون تلك المبادئ؛ كتمهيد للخوض في المسائل الكلامية، والقضايا الجدلية في العقائد، كما لا يخفى أن هذه المبادئ، كانت تشكل محورا هاما للوقوف على عناصر القضايا، التي كان يحتدم النقاش والجدل فيها.

ورغم ما يتوجه من شبهات حول تلك المبادئ؛ لكن يبقى التنوع هو سمة هذه المبادئ التي كانت تستخدم لدى علماء الكلام في العصور الماضية، والتي جمعت ما بين ((الوجودية، والمنطقية، والطبيعية، والفلسفية، وغيرها))[٢]، ومع التسليم بوجود مبادئ جديدة من الممكن أن تضاف إلى المبادئ السابقة؛ إلا أنه لا يمكن أن يعني ذلك أن تلك المبادئ قد نسخت المبادئ السابقة؛ بل ما يمكن قوله: ((أن بعض المبادئ قد تغيرت، وبعضها قد أضيف؛ لكن بقيت مبادئ هي العمدة في الأسس الكلامية))[٣]، ولأنه من الصعب أن يكون التجدد في المجموع هو التجدد للمجموع، وتجدد الأسس والمبادئ لا يعني التحول الفاصل بين القديم والجديد، كما لا يخفى أن التطور هو التجديد المستمر لقضايا أو لمسائل علم من العلوم، وعلى كل حال فلا يعني التجديد غير ((إعادته لبناء الفكر الديني وفق قواعد جديدة))[٤].

ونخلص مما سبق إلى أن:

الدعوة إلى علم الكلام الجديد ليست دعوة إلى التغير الشامل في الأسس والمناهج فحسب؛ لكنها دعوة إلى أن يكون البحث في الذات الإلهية، والنبوة، والمعاد بأسلوب مختلف، يستطيع الباحث من خلاله أن يتعرف على كيفية جعل

(١) يراجع: الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ ١٣١، سبق.
(٢) دراسات في الفكر الديني، محمد شقير، صـ ١٩، سبق.
(٣) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.
(٤) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ ١٣٢، سبق.

مثل هذه المسائل كأي مسألة علمية استقرائية تخضع لما تخضع له سائر قضايا العلم التجريبي.

تلك التحولات الجذرية التي يدعو إليها أهل الكلام الجديد، تقتضي من المتكلم الجديد والمعاصر ((أمورا أخرى؛ فالكلام الجديد خلافا للكلام القديم، ليس علما يهتم بإثبات تعاليم الدين، وإبطال الآراء المعارضة، كما أن تحصيل المعرفة بعالم الوجود عن طريق الوحي، لم يعد من أهداف الكلام الجديد، وإنما هو لم يهتم بتبيين الإيمان الذي ظهر مع نبي الإسلام)) [١]

وقفة نقدية:

قد تقرر أن التجديد في شتى العلوم مطلب لا بد من، وحقيقة لا يمكن بحال إغفالها؛ بل هو سنة كونية مضطردة في كل علم[٢]، ولا ريب فإن كل علم يسير في خطوات تكاملية يتبع بعضها بعضا، بحيث أن " معطيات جديدة تلتحق به دائما، دون انقطاع"[٣]، ولا يمكن التجديد في جانب من جوانب علم الكلام، دون التجديد في باقي أضلاع العلم؛ لأن كل علم تمثل أركانه وحدة مترابطة مع بعضها، فقد يكون كما يرى بعض الباحثين أن "طرح المسائل الجديدة نافذة إلى ظهور مناهج جديدة، والمناهج الجديدة قد تستند إلى مبان جديدة"[٤]، كما أن طرح بعض القضايا الجديدة في علم الكلام أمر لا بد منه لتوسيع موضوعات علم الكلام، كما أنه لابد من الدفاع عن القضايا العقدية، من خلال تفسيرها، وتقريرها، وصد الشبهات عنها.

(١) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ ١٣٥، سبق.

(٢) يراجع: إشكاليات التجديد، ماجد الغرباوي، صـ٦، نشر مكتبة دار الهادي، ط أولى ١٤٢١هـ،٢٠٠١م.

(٣) دراسات في الفكر الديني، محمد شقير، صـ٢١، سبق.

(٤) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ١٣٩، سبق..

لكن ما يأباه العقل وينكره، أن يأتي بعض الباحثين ويقرر: أن هناك قصورا في علم الكلام[١]، وأن العقائد الدينية أو الدين من حيث تعلقه بالله القديم الباقي، يحول دون تطور الحياة البشرية، وحجتهم في ذلك أن القضايا الدينية، أو بالأخص القضايا الكلامية، ما هي إلا مزيجا من المنطق الأرسطي[٢] وبعض آراء الفرق المتناحرة، التي تاه بينها الإنسان كلا وموضوعا.

التحول الترابطي: التجديد بمعنى التكامل

من غير المتصور أن تعني الجدة أفول شيء، وحلول شيء آخر مكانه؛ فإن هذا يعني النسخ والإزالة وليس التجديد، وإنما هناك ما يعرف بالترابط والتكامل في العلم، بمعنى: أن يكون هناك تكامل وترابط بين فروع العلم السابقة واللاحقة؛ يث يترابط العلم ويظهر في ثوب قشيب لامع، ومهما يكن التجدد ضروريا "تبقى بين الأمر السابق واللاحق مشتركات معينة"[٣]، لكنه لا يعني أن يصير التجديد ممارسة سلبية تزيد وتعمق من حدة الإشكالات بين المسائل الكلامية، والفهم الشخصي لها[٤]، وكذلك لا يعني أن يكون التجديد هو الانقلاب والتحول في ماهية العلم؛ فعلم الفقه وأصوله مثلا، لهما من الأهمية مكان كبير عند العامة والخاصة، وقد نالهما حظا وفيرا من التغيرات والتكاملات التجديدية، في كل فروع

(١) يراجع: الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، صـ٢٣، سبق، حيث ذكر أن علم الكلام القديم تحول إلى مشادات عقيمة بين العلماء قديما، وأنه كان العامل الرئيس في نسيان الإنسان، وركود الجانب الاجتماعي لدى الإنسان، وتحول القضايا الدينية إلى مسائل جدلية لا فائدة منها، وأن جميع القضايا الدينية التي تم تناولها في العصور السابقة كان يغلب عليها الطابع الجدلي الأرسطي.

(٢) يراجع: المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

(٣) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ١٤٠، سبق.

(٤) يراجع: إشكاليات التجديد، ماجد الغرباوي، صـ٢٥، سبق.

العلم من حيث: المسائل، والموضوعات، وطرق الاستدلال وغيرها؛ إلا أنهما احتفظا بهويتهما المعرفية عند الناس، ولم يقل أحد بالفقه القديم والفه الجديد، أو علم أصول الفقه القديم والجديد[١]، وما ينطبق على الفقه ينطبق على علم الكلام ومسائله.

وصف التجديد بين الإطلاق والنسبية:

صفة (الجديد) هي وضع نسبي لا يتصف بالإطلاق؛ لأن كل حلقة من حلقات العلم تسمى جديدة بالنسبة لسابقتها، وهي تتصف بالقدم إلى أضيفت إلى ما بعدها، بمعنى أن المرحلة السابقة هي جديدة بالنسبة للمرحلة التي سبقتها، وجديدة بالنسبة للمرحلة التي ستأتي بعدها، وهذا الأمر سيضطرنا إلى أن نقول بأن كل فترة يتولد علم جديد في كل علم؛ لكن هذا الوضع سيعرض في الأذهان سؤالا جديدا هو "إذا حدث هذا، هل ستبقى المحاور الحالية لعلم الكلام جديدة؟ وهل ستكون المحاور القادمة أجد؟ أم تكون الحالية قديمة والقادمة جديدة؟ وعليه فلن تكون لعميلة التجديد ضوابط محددة"[٢] وثمة طريقة أخرى اتجه من خلالها بعض الباحثين إلى تحديد وصف الجدة بالعلماء الذين اتجهوا إلى طرح مسائل جديدة لم تكن متضمنة في علم الكلام التراثي، بمعنى: أنه أصبح من الصعب وفق ما تقدم أن يكون هنالك علم كلام جديد، وآخر قديم؛ لكن من الممكن أن يكون وصف الجدة خاص بالعلماء، فنستطيع أن نقول: علماء الكلام المتقدمين، والمتأخرين، وهي بطبيعة الحال أرجح من الطريقة الأولى التي توجه الجدة إلى العلم نفسه وهي أنجح "بلحاظ عدم تسببها إيهاما بحصول تحول في هوية العلم، أو حدوث انقلاب تام في ماهيته"[٣]

(١) يراجع: الهندسة المعرفية لعلم الكلام، صـ ١٤٠، بتصرف.
(٢) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، قراملكي، صـ ١٤٢، سبق.
(٣) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

ورغم نجاح هذا التصور؛ إلا أنه قوبل بنقد أيضا؛ فمن الممكن أن تأتي بعض الأطروحات الجديدة أو المسائل الواقعية المستحدثة، وعليه فسوف يتحول المتأخرون إلى متقدمين وهلم جرا.

ويبقى التصور الثالث، كما يرى بعض الباحثين هو الأنسب، بأن تضاف الجدة إلى العلم كنظام[١]، بمعنى: نظام فقهي أو نظام كلامي، فمن الممكن أن نقول: نظام كلامي جديد، أو نظام أصولي جديد، وأهمية هذا الوصف تعود إلى "حفظ الهوية المعرفية لعلم الكلام، وكونه واسطة بين الوحي ومخاطبيه"[٢]

(١) يراجع: دراسات في الفكر الديني، محمد شقير، صـ٢١، بتصرف بسيط.

(٢) المصدر نفسه، صـ ١٤٣،

الفصل الثاني

علم الكلام الجديد عند شبلي النعماني

المبحث الأول

فكرة الكلام الجديد عند شبلي النعماني

اتفق (النعماني) مع كثير من العلماء والباحثين على أن المادة العلمية لعلم الكلام الجديد هي هي مادة علم الكلام (التراثي) ورغم الطرق المختلفة والفروع المتعددة لعلم الكلام قديما وحديثا؛ إلا أنه يرى أن علم الكلام التراثي، هو الذي يستحق أن نطلق عليه علم الكلام الحقيقي أو الأصيل(١)؛ لكنه يرى أيضا أن علماء الكلام القدامى تغاضوا عن الإفصاح عن عقائدهم الأصلية الحقيقية لدى العامة، مستندا على أن بعض العلماء؛ كالإمام الغزالي مثلا ينص في بعض مؤلفاته على أن هذه المسائل، التي في تلك الكتب لا تحمل الحقائق الأصلية لمعتقده؛ لكنها ألفت من أجل الحفاظ على عقيدة العوام من الخطأ، وهذا قول مجانب للصواب؛ لأن الإمام الغزالي نص على أن بعض مؤلفاته، كـ(الرسالة القدسية) و(الاقتصاد في الاعتقاد)، قصد بتأليفها حراسة عقيدة العوام عن تشويش أهل الابتداع(٢)؛ لكنه لم ينص أبدا على أن هنالك عقائد أصلية مخفاة وراء تلك العقائد التي أودعها في تلك الكتب؛ وإلا يكون هذا تناقضا، وغير ذلك فالواضح عند الإمام (الغزالي) أن ما ذكره في الكتابين غير جدير بكشف الحقائق التي يود الوصول إليها، ومن أجل ذلك قام بتأليف (تهافت الفلاسفة) وغيره من الكتب التي اهتم فيها بالحجج العقلية تجاه الفلاسفة وغيرهم، كالباطنية.

(١) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ١٧٩، بتصرف

(٢) يراجع: جواهر القرآن، الإمام الغزالي، تحقيق: د/ محمد رشيد رضا القباني، صـ ٣٩، دار إحياء العلوم، ط ثانية ١٩٨٦م.

ولا يخفى ما في هذا التجرُّؤ من فتح لأبواب الإشكالات التي أدت إلى طرح أسئلة جديدة، لا علاقة لها بعلم الكلام أصلا، ولا علاقة لها من قريب أو من بعيد بالاستفهامات المتنوعة التي عرفت في علم الكلام التراثي[١] ورغم تنامي الدعوة لتوظيف المعارف الحديثة في الدراسات الدينية؛ لكن ما يدعون إليه، من تناول موضوعات علم الكلام على أساس يقوم على جعل المسائل الكلامية أو موضوعات الدين فكرة تحت ما يسمى بـ (التجربة الدينية) أو شرح وتقرير الدين أو المسائل الكلامية في ظل الظواهر الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية[٢].

طريقة تدوين علم الكلام الجديد عند النعماني:

يرى (النعماني) أن علم العقائد (التراثي)، كان يختص ببحث، وتقرير العقائد الإيمانية فقط؛ والسبب من وجهة نظره يعود إلى أن: المخالفين في ذلك الوقت كانت تدور شبهاتهم حول العقائد، أما اليوم فلابد من البحث في الجوانب التاريخية، والحضارية[٣]، والأخلاقية للدين؛ لأن عقائد أي دين عند (الأوربيين) لا تكون جديرة بالاعتقاد، ما لم تكن هذه المسائل قانونية، وأخلاقية، كما أن تعدد الزوجات، والطلاق، والرق، والجهاد، في أي دين لهو أكبر دليل على بطلان هذا الدين، ولهذا لابد من تناول مثل هذه المسائل الهامة في علم الكلام الجديد[٤] ولا

(١) يراجع: الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، صـ ٥٨، سبق.

(٢) يراجع: الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، صـ ٥٧، بتصرف.

(٣) وهذا يدل صراحة على صحة قول بعض الباحثين: إن ما يدعو إليه أهل الكلام الجديد، ما هو إلا محاكاة وتقليد للفلسفة اللاهوتية المسيحية، وتطبيق ما قال به بعض المستشرقين الغربيين مثل (فلسفة الدين) (اللاهوت الفلسفي) وغيرها من مسميات، ولنا معها وقفة.

(٤) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ١٨٢.

يخفى أن هذا التناول من (النعماني) وغيره هو عين ما يدرس في الغرب تحت مسمى (فلسفة الدين) ولذلك يمكن القول بأن ما يسميه بعض الباحثين (علم الكلام الجديد) هو ما يعنيه الغرب بـ (فلسفة الدين)[١].

وتدور معظم هذه الأبحاث الغربية حول الدين من خلال بعض المسائل، والأبحاث التي يرون أنه لا بد من تناول مسائل الدين، أو الاعتقاد من خلالها، مثل: منشأ الدين أو العقيدة، والنظريات في تفسير الأحكام والمسائل العقدية، وكذلك التفسير العلمي للدين، وجعل الدين تجربة روحية نابعة من داخل الإنسان، وليس مجرد تعاليم تملى على الفرد، كما يجب عليه الإذعان لها من غير تفكر أو روية[٢]

الضروريات في علم الكلام الجديد عند النعماني:

إن أهم ما يدعو إليه (النعماني) وغيره، إنما هو محاولة تفسير وتقرير المسائل العقدية في ضوء معطيات العلم الحديث بـ "أسلوب واضح وبسيط، تستوعبه الأفهام بسرعة ويستقر في القلب"[٣]، وحجته أن المناهج التي كانت تستخدم في علم الكلام القديم، كانت معقدة ومتشابكة إلى حدٍ يصعب معه فهمها وتناولها؛ حتى أن المخالف كانت تصيبه الدهشة والحيرة، ولا يمكنه إلا التسليم لها؛ حتى وإن كان من غير تعقل لها أو فهم، ولم يوقر في قلبه حالة من الوجدان والإيمان[٤].

(١) يراجع: دراسات في علم الكلام الجديد، حسن يوسفيان، صـ٣٧، بتصرف.
(٢) المصدر نفسه، صـ٤٩.
(٣) علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ١٨٢، سبق.
(٤) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

علاقة الدين بالعلم الحديث في ظل علم الكلام الجديد:

مما أثير في الغرب، وتبناه علماؤه بقوة، مشكلة العلاقة بين العلم الحديث والدين؛ لأنهم صدروا للعالم أن الدين يعارض العلوم التجريبية الحديثة؛ لأن الفرق واضح بين ما تحكمه التجربة وبين ما تحكمه النصوص المجردة، تلك التي لا يجد العالِم إلى الوصول إليها سبيلا؛ لكن النعماني يرى: أن في هذا التصور مغالطة كبيرة؛ لأن علماء الغرب قد قسموا العلوم إلى قسمين:

الأول: هي المسائل الثابتة واليقينية، التي تقوم على الملاحظة والتجربة، وأطلقوا عيها لقب العلم.

الثاني: هي تلك المسائل التي لم تجد التجربة، أو من الممكن أن تقول: أنهم جعلوا المسائل الخارجة عن نطاق التجربة والنظرية العلمية من قبيل الفلسفة(١)

وبناء عليه؛ فقد تشكلت على إثر القول بنظرية (الخلق والتطور) التي تتبع العلم التجريبي، مدرستان متعارضتان أشد التعارض في تقرير الجدل العلمي حول منشأ المعرفة، الأولى: وهي (المادية العلمية) أو بمعنى آخر (الوضعية المنطقية) والثانية: وهي (الحرفية الكتابية) فالأولى: وهي المادية العلمية تتدعي بأن المصدر الوحيد للمعرفة هو المنهج التجريبي، وهو الذي يصح الاعتماد عليه للحصول على المعرفة، وأما الثانية: فتتسم بالمعرفة الموضوعية للمسائل. (٢)

ولا يخفى ما يود أصحاب المدرسة الأولى الوصول إليه، من جعل العلم وحده هو القادر على كشف الحقائق؛ حتى الميتافيزيقية، وأن الكيانات التي يدرسها العلم هي التي تستحق أن توصف بالحقيقية، أما المسائل الكلامية، وما ينتج

(١) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ١٨٢، بتصرف بسيط.

(٢) يراجع: الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، صـ ٨٤، بتصرف.

عنها من معرفة؛ فإنها لا تتصف بالحقيقية، ولا تتصف بمعطيات موضوعية، ولذلك يتم تناولها على وصفها بالذاتية، والغير دقيقة.

وقد أيد هذا القول فئة غير قليلة من علماء الغرب، منهم كما ذكر (الرفاعي) (جاي آير) والذي اتخذ من (المادية العلمية)، أو (الوضعية المنطقية) مصدرا وحيدا للمعرفة؛ بل إنه يرى أن العبارات التي من الممكن أن تكون ذات معنى حقيقي، هي التي يمكن وضعها تحت طائلة الاختبار، وبما أن الدين، والميتافيزيقا، والأخلاق، لا توصف بالتجريبية أو المشاهدة؛ فإن هذه الفروع العلمية لا تحمل أي طابع للمعرفة. (١)

ونخلص من قوله إلى أن كل ما لا يقع تحت الملاحظة والتجربة، فهو غير جدير بتحقيقه معنى العلم، وأن مسائل علم الكلام، والأخلاق، والميتافيزيقا، كلها مفاهيم مجردة، لا يمكن ملاحظتها، وأن أقصى ما يمكن أن تشير إليه هذه المفاهيم إنما هو تعبيرها عن حالات نفسية، لا على أنها توضح حقائق موضوعية من الممكن أن نحصل من خلالها العلم.

ولا عجب؛ فقد انهارت الوضعية المنطقية، بعد أن " بدأ الفلاسفة يدركون أن ما تقدمه الحواس والتجربة بشكل عام لا يشكل نقطة بدء جازمة بالنسبة للعلم"(٢)

والحقيقة في نظر (النعماني) أن السر في رد علماء الغرب للدين؛ لكونه معارضا ومناقضا للعلوم الحديث؛ هو ما كان يفعله رجال الدين في الغرب؛ حيث عمدوا إلى هدم كل ما لا يتوافق ورغباتهم وليس الدين(٣) وأوضح أن ما كان يفعله رجال الكنيسة في العصور الوسطى لهو أكبير دليل على اتساع الفجوة بين العلم

(١) يراجع: المصدر نفسه، صـ٨٥.

(٢) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

(٣) المصدر نفسه، صـ ١٨٣،

والدين، والسر الأكبر كما يرى النعماني " أن القساوسة اتهموا جميع الاختراعات والاكتشافات العلمية بالكفر والردة، ورغم ذلك فقد ذهبت جهودهم أدراج الرياح، وازدهرت العلوم والفنون في ظل الدين"(١)

قلت: ما يقصده النعماني: إنما هو التدليل على أن الدين لا يتعارض أبدا مع العلم، وأن العلماء بعد أن تحرروا من ظلم رجال الدين في العصور الوسطى، وأصبح النص الإلهي بكل اللغات الإقليمية التي يفهمها العامة؛ حتى يتسنى لهم الوصول إلى الخالق . تعالى . دون وساطة رجال الدين، تمكنوا من الإجابة على كل ما يفرق بين الدين والعلم.

وهو ما يعني أن العقيدة الإسلامية، قادرة على إعادة صياغة الإنسان، أو الفكر الإنساني، وانتزاعه من محيطه الوثني القلق، إلى طريق أرحب فيه تمزج العقيدة والحياة، وهو ما يعني: انسجام المفاهيم العقدية مع الفطرة الإنسانية. (٢)

مسائل العقيدة بين التقرير والرد:

يذهب النعماني إلى أن هناك نوعا من الأسئلة، من الصعب أن تجد الإجابة واحدة عليها بين الناس؛ خاصة ما تتعلق بالله . تعالى . وصفاته، والنبوة وحقيقتها، والمعاد وما فيه، كل هذه المسائل لم تتحد الإجابة عليها بين الأديان(٣)، فهو يستند إلى أن علماء الغرب يزدادون يوما بعد يوم في إنكارهم للدين؛ بسبب أنهم لم يجدوا الإجابة الكاملة على مثل هذه التساؤلات، وهذا هو السبب الرئيس الذي تخالف أوروبا من أجله الدين، أو الاعتقاد.

وهذا الرأي إنما هو دليل على أن المنكرين للدين، يرون استحالة صحة المبادئ الدينية، التي تخالف الحقائق العلمية، وأن جميع الأديان الموجودة باطلة؛

(١) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

(٢) يراجع: إشكاليات التجديد، ماجد الغرباوي، صـ ٣٥، سبق.

(٣) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ١٩٤، بتصرف.

اللهم إلا أن يخترع دين يوافق في كل مسائله الأصول العلمية، والبحوث التي تبعث التطور العلمي الجديد[١]

وتبقى أهم ملامح الدين الجديد الذي سوف يصنع خصيصا من أجل الغرب، أن المعاد وثواب الآخرة ما هو إلا " أن الإنسان يلتزم بالقانون، ولكن ما هذا القانون؟ أنه المحافظة على نفسه، وسمو تلك الخصائص المضمرة في داخل الإنسان"[٢]

تلك الخصائص التي تمثل الدين العملي عند الغرب تتمثل في حب بني البشر، وتعني أن يكون الدين هو الإنسانية وخدمتها وهو من وجهة نظري دعوة إلى المادية البرجماتية، والنفعية المفرطة.

قلت: مجمل ما يدعون إليه هو أن يكون الإنسان طرفا في كل المعادلات، حتى مسائل الاعتقاد لا بد وأن تؤخذ من حيث تأثيرها على الإنسان، بمعنى ألا تؤخذ العقيدة كمنهج تحفه الطقوس التقليدية، والنصوص الدينية، وإنما هو تجربة شخصية تختلف من فرد لآخر[٣]

وعلى كل حل، فقد وضع النعماني تصورا للأمور الضرورية لأي دين مهما كان، تتمثل في:

أولا: مناط صحة الدين الحقيقي هو ما يؤمن به العقل وليس التقليد.

ثانيا: من المهم أن تكون المبادئ العقدية موافقة للعقل.

ثالثا: يتطور الدين جنبا إلى جنب مع الحضارة الإنسانية. [٤]

(١) المصدر نفسه، صـ ١٩٥، بتصرف.

(٢) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

(٣) يراجع: إشكاليات التجديد، ماجد الغرباوي، صـ ٤١، بتصرف.

(٤) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ١٩٧، بتصرف بسيط.

يعود النعماني لتفنيد مثل هذه الأسئلة، مبرهنا على المنزلة التي أعطيت للعقل في الدين، وأن بقدر ما في العالم اليوم من أديان، فإنها جميعا تبدأ بتلقين جملة (لا تقحموا العقل في الدين) وأن العقل الذي حق له أن يخترع وأن يبحث وأن يستقرأ، ليس من حقه الاعتراض على أن يكون الواحد ثلاثة والثلاثة واحد؛ هذا هو معنى الازدواج في المعيار؛ بل إن هذا الأمر نفسه هو الذي جعل الملحدين والإباحيين في الغرب ينكرون الدين جملة وتفصيلا، وأن النبوة ما جاءت إلا لخراب الأوطان[١] .

قصور استدلالات المتكلمين على المسائل العقدية من وجهة نظر النعماني:

يرى النعماني أن تناول المتكلمين للمسائل الكلامية، يشوبه بعض النقص من جهة الاستدلال؛ خاصة ما يتعلق بوجود الباري ـ تعالى ـ لأن المتكلمين أخذوا هذه الاستدلالات عن قدماء الفلاسفة؛ لكنهم لم يستطيعوا حل معظم الإشكالات التي أتت عن استخدام مثل هذه البراهين، وأن الاستدلال بحدوث العالم؛ لأنه متكون من الجواهر والأعراض وأن عدم خلو الجواهر عن الأعراض يوحي بالاحتياج، وأنه أمارة الإمكان والحدوث، كل هذه الدلائل وغيرها، كانت صالحة لوقت ما، ولذا قال" لكن هذا الاستدلال يمكنه أن يكون صحيحا آنذاك؛ عندما نسلم أن الزمان لا يمكن أن يكون متناهيا؛ وإلا فإن هذا الاستدلال محض خداع"[٢]

وخلاصة القول: أن النعماني يذهب إلى أنه لا بد من تناول كل مسائل علم الكلام من منظور علمي حديث، وليس كما تناوله المتكلمون من قبل؛ حيث

(١) يراجع: إشكاليات التجديد، صـ ٤١، سبق.

(٢) علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٢٠٣، سبق.

تناول مسألة وجود الباري ـ عز وجل ـ من منظور علماء النفس، وعلماء الإنسان[١]؛ كما تناول موضوعات أعدها من مسائل الكلام الجديد، مثل: الانتحار، وحقوق الإنسان، حيث يرى أن تناول هذه المسائل من خلال العلم الحديث، سوف يكون أوفر حظا، في الرد على الملحدين والماديين في كل ربوع العالم، وهذا ما سنبحثه في المبحث القادم.

(١) المصدر نفسه، صـ ٢٠٤.

المبحث الثاني

مسائل علم الكلام الجديد عند شبلي النعماني

قلت: إن النعماني لم يغفل تناول مسائل علم الكلام التراثي؛ لكنه أضاف إليها بعض المسائل التي يرى أنها لا بد وأن تكون ضمن مسائل علم الكلام؛ لارتباطها بواقع الإنسان، والتصاقها بمواضع ذات أهمية في حياة الإنسان؛ بل هي كما يرى مسائل لا بد من معالجتها في ضوء شبهات الإلحاديين والماديين الجدد.

وجود الباري بين استدلالات المتكلمين التراثيين والجدد:

أولى المسائل التي تناولها النعماني هي مسألة (وجود الباري) فهو يرى أن أدلة المتكلمين حول هذه المسألة، على الرغم من صحتها ومناسبتها لوقت مضى، فهي غير صالحة اليوم، ومع أن استدلالات المتكلمين واضحة لا لبس فيها؛ إلا أنه يرى عدم صحتها[١] والسبب أن العالم مجموعة لشيئين: المادة، والصورة الخاصة، والتي تتغير على الدوام هي الصورة الخاصة، وتظل المادة الأصلية قائمة باستمرار، على الرغم من تعاقب الصور عليها؛ لأنه عندما تحترق الورقة مثلا، وتستحيل إلى رماد؛ فإن المادة ما زالت باقية على أصلها، وإن تغيرت صورتها " المهم أن الشيء الحادث هو الصورة فقط، ولا يمكن أن تقدم أي تجربة على حدوث أصل المادة، ولا يمكن أن ينشأ أي استدلال" [٢] على كل حال؛ فإن النعماني لم تعجبه أدلة المتكلمين، واستدلالهم على وجود الله، كما لم يعجبه أن يكون العالم حادثا بجواهره وأعراضه؛ لأن المنكرين لوجود الله يرون أنه كلما فنيت علة حل

(١) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٢٠٠، بتصرف بسيط،
(٢) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

محلها علة أخرى، كما لا يمكن إثبات أن السلسلة غير متناهية. [١]

ولا يعدو كلامه حول هذه المسألة إلا أنه تكرار لما ذهب إليه من سبقه، من دعاة التجديد، أولئك الذين يرون أنه لا بد من تناول مثل هذه المسائل من خلال المضمون العلمي التجريبي الجديد، أو إن شئت قلت: إنه التوحيد المتحرر، الذي يكون لعلم الكلام فيه وظائف جديدة لم تكن من قبل، وتكون المسائل الكلامية وفق مجموعة من المسائل تتناول وتناقش وفق قواعد جديدة تقوم على علوم جديدة خالية من المناهج والاستدلالات التي كانت سائدة لدى علماء الكلام فيما مضى [٢]

ولأن المتكلمين كما يرى ينحون نحو (أفلاطون)، فلذلك فشلوا في معالجة هذا الاستدلال، ولم يوفقوا من وجهة نظره في إقامة برهان واضح على وجود الله[٣].

منهج القرآن في الاستدلال على وجود الله:

يرى النعماني أن استدلال القرآن على وجود الله هو المنهج الأمثل، بعيدا عن تعقيدات المتكلمين التي تاه الإنسان كما يرى بين أركانها، وأن الاعتراف بوجود الله جزء لا يتجزأ من فطرة الإنسان، كما أثبت أن علماء الإنسان أثبتوا فطرية معرفة الوجود الإلهي منذ القدم، وها هو (هانز مولر) يقول: " كان أجدادنا حتى ذلك الحين يطأطئون رؤوسهم ويحنون هاماتهم أمام الله، في حين أنهم لم يدركوا اسم الله، وبعد هذه الحالة ظهرت الألوهية الجسمانية، وتوارت الفطرة، الأصلية خلف حجب الصورة المثالية"[٤] كما أن برهان العناية وغيره من البراهين، كانت معلومة من قبل أن تتسق في ألفاظ وجمل تقرأ، ولذلك انتهى النعماني إلى

(١) المصدر نفسه، صـ ٢٠١.

(٢) يراجع: الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، صـ ٥١، بتصرف.

(٣) يراجع: المصدر نفسه، صـ ٢٠٤.

(٤) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٢٠٤، نقلا عن العالم، هانز مولر.

أن العلماء في العصر الحديث بعد أن انكشفت أمامهم أسرار الكائنات، وتم الكشف والتنقيب عن حقائق الأشياء، حينها أثبت كبار الفلاسفة الكبار والعلماء وجود الله، كما استطاعوا نفس الاستدلال الذي قدمه القرآن الكريم، بطريقة واضحة وبأسلوب بسيط، وساق قول (نيوتن) الذي يرى أنه " بالرغم من آلاف التغيرات الزمانية والمكانية في أجزاء الكائنات، من ترتيب وتناسق، فلا يمكن لها أن تخلق بدون ذات هي الأولى صاحبة العلم والسلطة"(١)

ثم ساق شهادات فلاسفة الغرب، حول فطرية معرفة وجود الله، والتي تدور جميعها حول الخالق المبدع للكون، وأن هذا الترتيب والتناسق الذي يحدث في الكون، من المستحيل وجوده من غير خالق، وأن الهدف الأسمى الذي ينشده علماء الطبيعة، ليس إطفاء ظمأ العقل؛ بل الوصول إلى يقين وجود الإله الخالق، الذي يفتن الجميع بعظمته. (٢)

اعتراضات أهل الإلحاد:

كان (النعماني) موضوعيا في هذه المسألة؛ حيث ذهب إلى أن المتكلمين القدامى في هذا الصدد ليس لم نظير، وقد فندوا كل شبهات الملاحدة حول مسائل العقيدة.

وأستميح القارئ عذرا في نقل هذه المقولة للنعماني، التي دلت على أنه مهما حاول مجدد محاولة تقويض دعائم الكلام التراثي، فلن يستطيع، وها هو قوله: "ولم يلق كلا من العلم والفلسفة المعاصرة أي ضوء على هذه المسألة ـ يقصد الرد على شبهات الملاحدة ـ ولم يستطيعوا أن يقدموا دليلا جديدا يتعلق بمسألة إنكار وجود الله"(٣)

(١) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

(٢) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٢٠٧ بتصرف بسيط،

(٣) علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٢٠٧، بتصرف بسيط.

فرغم قوة شبهات الملاحدة ودقتها في العصور السابقة؛ إلا أن علماء الكلام فندوها تفنيدا يقيم الحجة ويقطع المحجة، ومثالا على ذلك، فقد ساق الإمام (الشهرستاني) في كتابه (الملل والنحل) [١] جل شبهات الملاحدة والرد عليها من خلال أقوال المتكلمين أهل الكلام الذي يزعم أهل الكلام الجديد ضرورة تجديده.

نظرية النشوء والارتقاء ودورها عند الملاحدة:

ذكر النعماني أن أهل الإلحاد يستدلون على عدم وجود الله من خلال نظرية النشوء والارتقاء التي قال بها (دارون) وملخص قولهم: أنه ثبت من نظرية النشوء والارتقاء عند (دارون) [٢]، أن جميع المخلوقات تتطور وترتقي من أدنى إلى أعلى، وأن الإنسان الذي يطلق عليه أشرف الموجودات، كان في بدايته في أدنى درجات الخلق إلى أن تطور في نهاية الأمر وأصبح إنسانا، فكيف يمكن على هذا الإيمان بوجود خالق، قادر، له مطلق الإرادة، وإذا تطور المخلوق فلا بد من تطور الخالق ـ تعالى الله عما يشركون ـ كما أن وجود الظلم، والبغي، والقتل، وسفك الدماء، ليدل على خلاف ما يدعيه من يؤمنون بوجود الله من أنه رحيم، عادل[٣] ولا يعدو هذا الكلام غير تذرع لترويج نزعات الإلحاد العالمية التي

(١) يراجع: الملل والنحل، الشهرستاني، جـ١، صـ ٢٤، تحقيق: أمير مهنا، دار المعرفة، بيروت، ط ١٩٩٣، حيث بدأ الحديث عن بداية شبهات الملاحدة، ومتى ظهرت، وكيف ظهرت، كما تناول شبهات الملاحدة والدهريين، وكذا شبهات الملاحدة حول التكليف، والمعاصي، والشرور التي في العالم، فليراجع.

(٢) أخرج دارون هذه النظرية في كتابه (أصل الأنواع) حيث ذهب إلى ما ذهب إليه غيره، من أن الأنواع الحية ليست أصيلة في الخلق والتكوين؛ بل يشتق بعضها من بعض بطريق التحول والارتقاء التدريجي الذي يحصل بعدة أسباب، يراجع: الداروينية والبراجماتية، أد/ حسن محرم الحويني، صـ ٦

(٣) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٢١٧، بتصرف بسيط.

دعا إليها الغرب، والتأسيس لهذه الدعوات وفق أسس علمية بعيدة عن المفاهيم الغيبية والميتافيزيقية، التي لا يؤمن بها العقل؛ بل لا يسلم بها.

ويكفي في الرد عليهم أن نقول: كل عقل سليم يقطع بأن المعلول لا يتخلف عن علته المستلزمة له حدوثا وقدما، فإن كانت العلة حادثة؛ استلزمت حدوث المعلول عقبها بدون تأخر، وإن كانت قديمة؛ استلزمت قدم معلولها؛ وإلا لوجدت العلة بدون معلولها وهو مما يحيله العقل ويأباه، وعلى قول أهل الإلحاد أو أصحاب النظرية أن المادة قديمة، وكذلك حركتها الذاتية، وأن المادة وحركتها هما علة حدوث الموجودات وتنوعها، وذلك بطبيعة الحال يستلزم قدم الموجودات وتنوعها، وثبوت قدم ما كان حادثا على قولهم، وهو ما يأتي على بنيانهم من القواعد. (١)

أما (النعماني) فد ذهب إلى ما ذهب إليه من يقولون بقدم العالم مادة وصورة، ولم يعجبه ما ذهب إليه أهل السنة الأشاعرة، وأن معظم فلاسفة الإسلام قالوا بقدم العالم، لأنه يرى أن " المادة تنشأ تلقائيا، والحركة تنشأ مع المادة، والحركة تخلق الامتزاج، ومن ثم تنشأ كثير من القوانين الطبيعية تدريجيا، وبسبب هذا الأمر؛ لا يمكن القول من أين جاء هذا الاتحاد والتناسب"(٢) لكنه يعود فيبرهن على أن هناك قوة عظمى هي التي أدت إلى الاتحاد بين القوانين، وليست الاتحاد الذاتي الذي يزعمه الماديون، وهو ما دل عليه قوله ـ تعالى: ((أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا)) وبناء عليه أقر كبار فلاسفة أوروبا بوجود الله"(٣)

المسألة الثانية: خرق العادة بين الإمكان والاستحالة:

وهي المسألة الثانية التي تناولها النعماني بالبحث ضمن مسائل علم الكلام الجديد، فبعد أن قدم وصفا لمعنى النبوة عند المتكلمين ورأيهم في المعجزة،

(١) يراجع: الداروينية والبراجماتية، أد / حسن محرم، ط ١٩٩٩م.
(٢) علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٢٢٠.
(٣) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

وما دار حولها من شبهات للمتقدمين، أردف ذلك ببحث في خرق العادة، وإمكانها من حيث الوقوع وعدمه.

فهو يرى أن جمهور الأشاعرة وحده هو الذي ينكر سلسلة العلة والمعلول، أو الأسباب والمسببات، فهم يرون أن كل الممكنات تستند إلى الله ـ تعالى ـ القادر المختار ابتداء وبلا واسطة(١).

وهذا محض افتراء على الأشاعرة (أهل السنة) فإنهم لم ينكروا الربط بين الأسباب والمسببات؛ لكنهم يرون أن تلك الأسباب عادية للوقوع، أو أسباب مترتبة في العادة، ولكن الأصل في نزول المطر أن الله أراد له أن ينزل، وأن حرق النار وإن كان يتم وفق الأسباب العادية؛ لكن في النهاية يحدث لأن الله أراد له أن يحدث(٢).

لكن النعماني وبكل عجب يزعم أن كل العلماء غير الأشاعرة يقرون باستحالة خرق العادة؛ إلا من خلال هذه السلسلة التي يتم فيها الربط بين الأسباب والمسببات، أو العلل والمعلولات؛ لكنه يعود فيقول" لكن على الرغم من هذا؛ فإن الخلاف يبدو ظاهريا"(٣)

كما لم يفرق بين المعجزة، والكرامة، والمعونة، والإهانة، والإرهاص؛ حيث يرى أن جمهور الأشاعرة

يسلمون بكل أنواع الأحداث الجارية على خلاف العادة، وأن هذا المعجز الذي يصدر عن الرسول، من الممكن أن يصدر عن غيره؛ حتى إن كان كافرا، أو

(١) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٢٤٠، بتصرف.

(٢) يراجع: هوامش على العقيدة النظامية، أد / عبد الفضيل القوصي، صـ١٢، مكتبة الإيمان، ط ثانية.٢٠٠٦م

(٣) علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٢٤٠، سبق.

ساحرا، وكل الفرق يكمن في تغيير الاسم فقط[١] وفاتَه أن الأشاعرة يرون أن دلالة المعجزة عادية، وليست عقلية، فإنها عند الأشاعرة مجرد إجراء الله عادته بخلق العلم بالصدق عقيب الأمر المعجز. [٢]

وقد أحسن (التفتازاني) حين عقد مقصدا خاصا للرد على من يقدحون في المعجزة؛ حيث يرون أن تجويز خوارق العادات من قبيل السفسطة، وهو هو قول من ينكرون المعجزة في العصر الحديث؛ لكنه في ألمعية يوضح أن المعجزات أمور ممكنة في ذاتها، لكنها متأبية على العادة، أو أن العادة لم تجر بمثيلاتها، كما أن إبداعها ليس بأبعد من إبداع خلق السماوات والأرض. [٣]

وخلاصة قوله في المسألة: أنه يرى أن كل الفرق ما عدا جمهور الأشاعرة لا يؤمنون بخوارق العادات التي تعارض الطبيعة أو العلم، ولذلك فإن قال شخص غير الأشاعرة بما يسمى خوارق العادات؛ فإن مقصوده بذلك كما يرى أن تلك الواقعة أو تلك الحادثة أو العادة الجارية وقعت خلافا للعادة، وليس لأنها في الأصل مخالفة لقواعد الطبيعة. [٤]

ويكفي في الرد على ذلك ما ذكره صاحب (المواقف) من أن المذهب عند الأشاعرة أن خرق العادة، أو المعجزة؛ إنما هو "فعل الفاعل المختار، يظهرها

(١) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٢٤٠، بتصرف.

(٢) يراجع: شرح المواقف، عضد الدين الإيجي، الشريف الجرجاني، ج٨، صـ ٢٥٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) يراجع: شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، جـ٥، صـ ١٥، بتصرف، تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة، تصدير: أد/ صالح موسى شرف، الناشر عالم الكتب، بيروت.

(٤) المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

على يد من يريد تصديقه بمشيئته لما تعلق به مشيئته"[١] وليست فعل الطبيعة كما يرى أصحاب الكلام الجديد.

ولم يكتف النعماني بإيراد مثل هذه الأفكار؛ بل أضاف بعض الاعتراضات نجملها فيما يلي:

أولا: من الصعب جدا إثبات أن هذا الأمر المعجز ليس له مثيل، ومعناه كيف نثبت تحقيق عدم المعارضة؟ ولو أن المراد أنه من الصعب أن يأتي أحد بمثلها إلى يوم القيامة، فكيف نتحقق أو نتكهن ألا يكون لها أي للمعجزة مثيل إلى يوم القيامة؟[٢] وعلى الرغم مما ذكر فإن تلك الأمور كانت محل الجدال بين من سبق من الناس، أولئك الذين عاصروا هذه الأقوال، يعني: أصحاب الاعتراضات التي وجهت إلى النبوة والمعجزة وقت ظهور هذه التصانيف.

وأما عن تواتر النقل لهذه الأخبار، أو لهذه المعجزات فإن النعماني يسوق مكررا قول من يشككون في التواتر؛ حيث يقول: "ولكن هل كل هذه المتواترات يقينية"[٣] ويكفي ما قرره صاحب (المقاصد) من أن المتواترات تعد من أقسام الضروريات؛ فالقدح فيها بما ذكره (النعماني) وغيره، مع أنه ظاهر الاندفاع؛ إلا أنه لا يستحق الجواب. [٤]

<u>حقوق الإنسان:</u>

يرى النعماني أن المسائل التي تتعلق بحقوق الإنسان، وعلاقة الناس ببعضهم؛ لا بد وأن تكون ضمن مسائل علم الكلام الجديد، وبما أن هذه الحقوق

(١) شرح المواقف، عضد الدين الإيجي، شرح السيد الشريف الجرجاني، ج٨، صـ ٢٥١، سبق.

(٢) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٢٣٣، بتصرف..

(٣) الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ٢٣٤، سبق.

(٤) يراجع: شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، جـ ٥صـ ١٦، بتصرف يسير.

كما يرى، أساس علم الأخلاق والقانون، فقد بحثتها جميع الفرق، مع الاختلاف في طبيعة التناول؛ لكنه يرى أن هناك نقصا في تناولها لدى جميع الأديان، ولذلك فلا بد من تناولها كمسائل ضمن مباحث علم الكلام الجديد، الذي يسعى إلى معالجة كل القضايا التي تعود على الإنسان بالنفع(١)

المسألة الأولى: الانتحار :

تلك هي المسألة الأولى التي يرى أهل الكلام الجديد ومنهم (النعماني) أنه لا بد من تناولها ضمن مسائل علم الكلام، فعلى الرغم من أن أمثال هذه المسائل لها بابها الخاص بها في علم الشريعة والقانون، وكذلك علم الأخلاق؛ لكن النعماني يصر على إدراجها ضمن مسائل الكلام الجديد، دون إبداء السبب وراء وضعها ضمن هذا العلم الذي خص بتناول مسائل الاعتقاد، والنبوات والسمعيات، رغم أنه أشار في بداية كلامه عن الكلام الجديد، أن هذا العلم يختص ببحث الوجود الإلهي، والنبوات، والمعاد، فكيف اطمئن إلى أن إدراج مثل هذه المسائل سيحولها إلى أن تكون محط اهتمام لدى العامة والخاصة.

وكنا ننتظر أن يسوق الدلائل الكلامية التي توحي بأهمية وضع هذا الموضوع ضمن مسائل علم الكلام؛ لكنه لم يزد على الحديث عن أن الإسلام يجرم القتل سواء كان من الإنسان لنفسه أو لولده(٢)

ولكن يبدو أن السبب الذي من أجله ساق (النعماني) مثل هذه المسائل أن المضمون الكلامي التراثي، لم يهتم بعقل الإنسان وبقلبه؛ بينما أغرقت موضوعاته الإنسان في جدالات ومحاججات ذهنية عقيمة كما يروا، ولم تتعامل مثل هذه المسائل الكلامية مع الإنسان بوصفه خليفة الله في بسيطته؛ بل أدت

(١) علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٢٩٠، بتصرف.

(٢) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ٢٩١، بتصرف،

مسائل علم الكلام بالإنسان إلى أن يكون دائم التيه بين البرهان العقلي، والقضايا المنطقية، أو التجريد الذهني الذي تتناول من خلاله معظم مسائل علم الكلام. [١]

كما تحدث عن الوأد، وما كان يفعله أهل الغرب بأولادهم الذين كانوا يحملون بعض العيوب الخلقية، كما تحدث أن (أفلاطون) كان يرى أنه لا بد من القضاء على الضعفاء والمرضى؛ حتى يتسنى له الاهتمام بالأصحاء بدلا عنهم، وأن الإسلام قضى على ذلك، كما ساق بعضا من الآيات التي تدل على حرمة قتل الأولاد[٢]

المسألة الثانية: حقوق المرأة:

لم يزد (النعماني) ولم يضف شيئا جديدا على ما فعله في المسألة الأولى، اللهم إلا في استقصاء التاريخ الخاص بمعاملة النساء في الغرب، وكيف أن القانون الروماني مع شهرته لم يعبأ بأي حق للمرأة غير اعتبارها روح كالإنسان، كما ساق كلاما مطولا عن ما كان يفعله أهل الديانات الشرقية بالمرأة، على النقيض من ذلك ذكر كيف تحدث القرآن عن حقوق هذا المرأة، وكيف كرمها[٣] كما تناول أثر الوراثة في توزيع الحقوق والإرث، والعجب كل العجب، أن تكون هذه المسألة وما شابهها من مباحث علم العقائد، الذي هو أشرف العلوم، وكان من الممكن أن يضع تلك المسألة ضمن مسائل كتاب عن المرأة في الديانات، أو النظم الاجتماعية، الذي يشمل الثقافة عند أهل الأديان، أما وأن يجعلها ضمن مسائل علم الكلام، فهو مما يشتاط له غضبا، ويندى له الجبين عجبا.

لعل هذا الطرح الذي قدمه في هذه المسألة؛ إنما هو ما عارضوا به الحكمة النظرية التي وصفوا بها علم الكلام التراثي، أما الحكمة العملية من وجهة

(١) يراجع: الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، صـ ٣٦، سبق.

(٢) يراجع: الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ٢٩٢، سبق.

(٣) يراجع: المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

نظر المتكلمين الجدد تكمن في مناقشة مثل هذه المسائل؛ حتى وإن كانت بعيدة كل البعد عن القضايا العقدية، لكنهم يرون أن علم الكلام القديم لم يراع فيه الاهتمام بحقوق المرأة، كما لم يعالج قضية الماهية الأخلاقية العملية، كما لم يهتم علم الكلام بطبيعة العلاقة بين الشرع والأخلاق، التي من خلالها يتناول قضية الحقوق عامة، ومنها حق المرأة. (١)

وعندي أن هذا ما هو إلا ترديد لما فعله من تأثر بهم من أمثال السيد (أحمد خان) الذي كان يرى أنه

لابد من أن تحل مثل هذه المسائل محل المسائل الكلامية، وأن مسائل علم الكلام (التراثية) لم يعد الناس بحاجة إليها؛ كحاجتهم إلى مثل هذه المسائل التي تتناول واقع الناس وحاضرهم(٢).

وعندي أن هذا ما هو إلا طمس لمعالم علم الكلام وموضوعاته التي تناولت أهم مسائل الدين وأصوله.

كما يعود إبراز مثل هذه الموضوعات كـ(حقوق المرأة) إلى فكرة القصور الذي ألصقوه بعلم الكلام التراثي، وأنه أي علم الكلام التراثي ما هو إلا لاهوت استرقاقي يعمل على مصادرة الحريات والحقوق، التي تعد من أهم ما كرم به الحق ـ تعالى ـ البشرية، فهو الذي جعل المرأة أمة ذليلة خانعة مسحوقة، لا تعرف

(١) يراجع: الكلام الجديد عبد الجبار الرفاعي، صـ ٣٨، سبق.

(٢) هذا ما ذكره النعماني عند تقديمه لعلم الكلام الجديد، كما استشهد كثيرا بعبارات (شاه ولي الله الدهلوي) حول ضرورة التوجه إلى موضوعات جديدة لا من طرحها لتكون عنوانا للعلم الجديد القائم على الواقع العملي، ومن ثم جعل الدين أو علم الكلام ومسائله خاضعين للتجربة الدينية التي أخذت في الأساس من فلسفات غربية بعيدة كل البعد عن مضمون العلم الإسلامي وموضوعاته.

عن التكريم شيئا، كما أن هذا النمط الذي يحمله اللاهوت الإلهي لا يؤدي إلا إلى الإلحاد المختبئ[١]

ولا يخفى ما في هذا من خلط بين دين ودين؛ لأن معظم هذه الأفكار التي يتحدثون عنها، لم تكن أبدا في دين الإسلام الذي كرم المرأة وحفظها، وعوضها عما كان يفعل بها في الأديان الأخرى، أما وأن يسحب الحكم كراهية على الدين الإسلامي وموضوعاته؛ فإن هذا لا يمت إلى الموضوعية بصلة؛ بل هو محض افتراء، ولوي لذراع النصوص والأحكام كي تتناسب مع ما يدعون إليه، كما يخدم أفكار أهل الإلحاد أولئك الذين يريدون زعزعة الدين في نفوس أهله[٢]

لكن هل قدم ما يعضد حجته هنا أيضا؟ الجواب: لا؛ بل لم يذكر حتى السبب الذي من أجله ضم مثل هذه المسائل إلى موضوعات علم الكلام، التي قالوا عنها بأنها الفقه الأكبر، أو علم أصول الدين.

أما عن باقي المسائل التي عدها (النعماني) من مسائل الكلام الجديد، مثل: الحقوق العامة للناس، وحقوق غير المسلمين، فخلاصتها يعود إلى ما أسموه بعصرنة الفهم الديني للنصوص؛ ومعناه: قراءة النصوص واستنتاج الأحكام منها في ظل ما يتلاءم مع مقتضيات الحياة ومتطلبات العصر، أو قراءة النص وفهمه في ظل الواقع الحاضر للمجتمع؛ لكن بعض الباحثين فرق تفريقا جوهريا بين الدين، وبين الفهم للدين؛ حيث يرى أن الدين هو الكتاب والسنة، والفهم الديني هو الاستنتاج من خلال نصوص الدين، كما أن أهم ما يميز النص الديني

(١) يراجع: الكلام الجديد عبد الجبار الرفاعي، صـ ٣٠، سبق.

(٢) يراجع: دراسات في علم الكلام الجديد، حسن يوسفيان، صـ ٧٩، بتصرف، وتناولت هذه الفكرة تلخيصا من حديثه عن العقل والوحي والفطرة وأثرها في معارضة أهل الإلحاد.

هو أنه مطلق عالمي الزمان والمكان، وفي عملية استنطاق النصوص لا بد من مراعاة البعد الزماني والمكاني، كما أنه لا بد من مراعاة الرصيد المعرفي للشخص الذي يريد أن يعمل أدواته من خلال الاجتهاد في فهم النصوص. (١)

أما (النعماني) فقد ذهب إلى مزج العلوم، لتكوين أفكار جديدة تخدم فكرته التي لم يكن أصيلا فيها كما سنرى؛ فأدخل علم الأخلاق في الشريعة، والشريعة في العقيدة؛ لظنه أن هذا ما يطلق عليه الكلام الجديد، فحقوق غير المسلمين وأهل الذمة، لا بد وأن تكون ضمن المسائل الكلامية الجديدة؛ حتى نستطيع الحفاظ على السلام العالمي، الذي هو نداء العلماء في العصر الحديث(٢)

أسباب ورود هذه المسائل في علم الكلام الجديد من وجهة نظر النعماني:

يرى (النعماني) أنه لا بد من علم كلام جديد يخلو من تعقيدات المتكلمين، كما يخلو من المشاحنات التي كانت سجالا بين المتكلمين أدت إلى أن يعتقد أصحاب كل فكر أن الحق معهم؛ حتى إنه ليرى أن معظم مسائل الكلام التراثي لو ألقيت على الصحابة أنفسهم ما استطاعوا إلى فهمها سبيلا(٣) واستدل على ذلك بأن القرن الأول للإسلام لم تتناول فيه تلك المسائل التي أقرت كما يرى معيارا للكفر والإيمان، وأما عن سبب إيراده لمثل هذه المسائل؛ فهو يرى أنه لا مفر من ضمها لمسائل علم الكلام؛ حتى وإن كان ذلك غير غير مناسب لموضوعات علم الكلام، فهو يقول" على كل حال فإن هذه المسائل، صارت الآن مرتبطة بعلم الكلام، ولا مفر من ذكرها نفيا أو إثباتا، في علم الكلام الجديد"(٤)

(١) يراجع: دراسات في الفكر الديني، محمد شقير، صـ ٣١، بتصرف، سبق.
(٢) يراجع: علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٣٠٤، بتصرف، سبق.
(٣) يراجع: علم الكلام الجديد، سبلي النعماني، صـ٣٠٤، سبق.
(٤) يراجع: المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

كما يرى أن تناول تلك المسائل الكلامية الجديدة ينبغي أن يتناول لسد الفجوة بين الدين والعلم، والتي كانت سببا في بعد الناس عن الدين.

قلت: ما يقصده (النعماني) وغيره من دعاة التجديد؛ إنما هو الوصول إلى علم كلام متنوع، أو بمعنى أوضح حسب رؤيتهم "لاهوت" متنوع يرتكز على كثير من القضايا حتى وإن كانت لا تمت إلى القضايا الكلامية بصلة؛ لكنه في الوقت نفسه تجديد لعلم الكلام، وعلى إثره يمكن كما يدعون تصحيح كثيرا من المغالطات التي بني عليها في زعمهم قدر كبير من مسائل علم الكلام التراثي أو القديم(١)

إن المشروع الجديد الذي يبغيه دعاة التجديد؛ إنما هو الدعوة إلى تغيير شامل في العقائد من حيث طريقة التقرير، وطريقة العرض، وطريقة الدفاع، والتخلي عن التقرير السجالي، والدفاع السجالي، وأن يكون علم الكلام ككثير من العلوم والفنون المختلفة، وأن يصبح كأي علم؛ بل لا بد وأن يحل اللاهوت الفلسفي المناسب للألفية الثالثة محل اللاهوت الذي كان يسود أهل الألفية الثانية، وأن يتحول علم الكلام من علم يرى أصحابه أنه الصحيح وحده من حيث المسائل، إلى علم كلام يؤمن بالحوار واعتقاد الصحة في بعض مسائل اللاهوت عند المخالف، بذلك ينبغي أن تتناول مسائل الاعتقاد. (٢)

(١) يراجع: الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، صـ ٧٥، سبق.

(٢) يراجع: المصدر نفسه، ٧٦.

المبحث الثالث

وقفة نقدية مع تصور النعماني لعلم الكلام الجديد

كان اتجاه النعماني وفكرته لإنشاء علم كلام جديد مرتكز على أن الكلام التراثي لم يعد مسايرا للمعارضات الحديثة للدين بوجه عام والدين الإسلام بوجه خاص؛ حتى إنه ليرى أن علم الكلام القديم من حيث المنهج كان يقوم على المقدمات المنطقية المعقدة والمتشابكة، التي كانت تلزم المعارض الصمت والإذعان مع الرهبة، وهو أمر بطبيعة الحال يؤدي إلى الإيمان كرها لا اختيارا وطواعية(١)

ولذلك طالب من يتصدرون للبحث والتأليف في الكلام الجديد أن يتفادوا هذا الكم من المناهج، التي لم تعد مناسبة لشبهات العصر الحديث(٢)؛ حتى تلقى القابلية من الغرب وأهله، ولا يعدوا هذا أن يكون غير دعوة إلى إبعاد تام للإرث الكلامي التراثي بكامله، والقضاء على جهود عقلية تمثل واحدة من أهم ما وصل إليه العقل عند المسلمين.

السبب في إيراد هذا الكلام من النعماني:

في الحقيقة أن هذا الكلام ما هو إلا ترديد لبعض أفكار رجالات التفكير في الغرب؛ حيث إن التحولات التامة الجذرية التي طرأت على الحضارة الغربية خلال القرون الأخيرة؛ أدت إلى ولادة أفكار جديدة في علوم العقيدة؛ خاصة المسيحية منها؛ لكن مثل هذه التحولات من غير الممكن سحبها على علوم العالم الإسلامي، كما أن الآثار التي ترتبت على هذه التحولات في الغرب من الصعب أن تترتب على علوم الإسلام في الشرق، وها هو سؤال وجهه بعض الباحثين

(١) يراجع: الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ١٨٢، سبق.

(٢) يراجع: المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

قائلا: (هل من الممكن أن تكون المنظومة الكلامية الجديدة كالإلهيات المسيحية؟)[١] وقد عقدت عدة احتمالات للإجابة عن هذا السؤال، أهمها:

أولا: أنه من غير الممكن أن يسحب كل تحول يحدث في الغرب وثقافته على الثقافة والمجتمعات الإسلامية

ثانيا: معظم التحولات الغربية في القرون الأخيرة، كانت بدعة وانحرافا عن المسار الصحيح للتفكير والفطرة الإنسانية، بمعنى أنه ليس كل ما طرأ من تغيير في الحركة الفكرية يكون محمودا ومقبولا لدى الشرق؛ وخاصة الإسلامي؛ بل إن معظم هذه التحولات والتغيرات كانت بمثابة كارثة مروعة حلت بالناس ودعا الجميع إلى أن يكون الموقف الصحيح منها هو التخلي عنها وعدم مواجهتها.

ثالثا: أشار بعض الباحثين إلى أن مثل هذه التحولات أصبحت أمرا مفروضا وواقعا ينبغي أن نتكيف معه مع الأخذ في الاعتبار تمكين النقد من مثل هذه الأفكار للوقوف على الصحيح منها ورد ما لا يصلح للعلوم الإسلامية. [٢]

ومن خلال هذا الرأي الثالث يتضح أنه الموقف الوحيد الذي نستطيع من خلاله الحفاظ على قدسية الوحي، وصيانة الهوية الدينية لعلم الكلام، وأن الدين له شخصيته وكيانه سواء في الحداثة أو ما بعد الحداثة، ثم إنه الموقف الوحيد القادر على صبغة العصر الحديث بصبغة دينية، ومن خلال ذلك من الممكن أن يجتهد المتكلم الحديث أو المعاصر لفهم التحولات التي طرأت فهما دقيقا، ومحاولة فهم الركائز التي ترتكز عليها، واستقصاء المسائل الكلامية الجديدة، والتعرف على المحتويات الحديثة لهذه المسائل التي من الممكن أن تعد من مسائل علم الكلام. [٣]

(١) يراجع: الهندسة المعرفية لعلم الكلام، أحمد قراملكي، صـ ١٥٢، سبق.

(٢) يراجع: الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ١٨٥، سبق.

(٣) يراجع: المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

العصور الوسطى وعلم الكلام الجديد:

قد يتساءل البعض ما العلاقة بين العصور الوسطى وعلم الكلام الجديد؟ أو ما الرابط بينهما؟

والإجابة على هذا التساؤل يكمن في العلاقة المضطربة التي قام على إثرها التخلي عن الدين ككل في بلاد الغرب؛ وهذا الاضطراب أيضا كان السبب في تقدم العلوم التجريبية التي نادى بها غير واحد ممن ثاروا على رجال الكنيسة في العصور الوسطى؛ حتى إن النعماني نفسه يرى أن من أهم الأسباب التي أدت إلى نشأة الأفكار الجديدة في علوم الدين ككل هو ما كان يفعله رجال الكنيسة في الحياة الفكرية ككل؛ حيث أشار إلى أن محاكم التفتيش التي كانت تعقد في معظم الدول الغربية؛ خاصة إسبانيا ما كانت إلا لتقديم من يجاهرون بشئ أو فكر يعارض ما كان عليه رجال الكنيسة، أو ضد الدين الذي كان يتولاه رجال الكنيسة(١)

ومن هنا وبعد الثورة على كل أفكار الكنيسة، طالب الجميع بالتخلي عن الدين ككل، وأن الدين الذي حصروا كتابه على رجال الكنيسة، ينبغي أن يكون بكل اللغات الإقليمية التي يفهما العامة والخاصة، وأن يكون الدين علاقة بين كل شخص وبين الرب وليس حصرا على رجال الدين، ومن هنا أصبح الدين فكرة وحالة وتجربة تعتمد على الوحي أحيانا، وأحيانا أخرى على التقدم المتعدد في النواحي التجريبية التي من خلالها تحول العالم إلى قرية صغيرة، وأصبح التحول التكنولوجي دعوة إلى فهم جديد للدين والعقل والعلاقة بينهما، وهذا ما حدث في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي.

(١) يراجع: المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.

ومن هنا نتبين العلاقة والسبب الذي من أجله نشأ التجديد في كل العلوم؛ خاصة علم الكلام، إنه الموقف الذي تبناه باحثوا الغرب من الدين، ومن رجال الكنيسة، وسحب هذا الموقف في العصر الحديث على علوم الدين، ومنها علم الكلام التراثي، وجعله قابلا للنقد والتجديد كاي علم من العلوم التي انطبقت عليها التجربة والملاحظة والفرض العلمي، ومن هنا أصبح علم الكلام الجديد في العصر الحالي (يحتفظ من ناحية بهويته الوسائطية، ودوره الدعوي، ومن ناحية ثانية لا بد أن يعتمد أدوات ومباني ولغة ومنهجية جديدة، تواكب التحولات المعقدة لدى مخاطبي الوحي، وهذا يتوقف على أمرين:

الأول: التحول في كافة أضلاع علم الكلام، الثاني: قراءة جديدة وإعادة بناء شاملة للمعرفة الدينية، وفق متطلبات المنهج العلمي الحديث) [١]

مسائل علم الكلام الجديد:

أشار النعماني إلى عدة مسائل وعدها من الموضوعات التي ينبغي أن تدرج ضمن مسائل علم الكلام، مثل: حقوق الإنسان، مسألة الانتحار، حقوق المرأة، وتعدد الزوجات، الحقوق العامة للناس، ورغم أنه تحدث فيها عن عظمة الإسلام في معالجة مثل هذه القضايا؛ إلا أنه لم يكن موفقا في إدراج مثل هذه المسائل ضمن قضايا علم الكلام؛ وكان كل همه أنه كما ذكرت مباحث مثل: وجود الله، وصفاته، والنبوة، والمعاد، أن توازيها مثل هذه المسائل لأهميتها العامة في الحياة[٢] ، وعلى الرغم من أن مثل هذه المسائل لها علومها ومناهجها الخاصة التي تناقش من خلالها؛ إلا أن بعض الباحثين يرى أن هذه الفكرة التي تبناها النعماني، ما هي إلا محاولة لزحزحة علم الكلام التراثي تقليدا لمن سبق النعماني

(١) يراجع: الهدسة المعرفية لعلم الكلام، أحمد قراملكي، صـ ١٥٧، سبق.

(٢) يراجع: الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، صـ٤٦، سبق.

من الباحثين، أمثال محمد إقبال الذي (سعى إلى زحزحة علم الكلام القديم، وتمحورت جهوده على بناء فلسفة بديلة للدين) [١] وهو هو نفس الكلام الذي دعا إليه (وحيد الدين خان) حين نادى بضرورة التحرر من مناهج علم الكلام القديم، وأن على الباحثين التحول لإنشاء علم كلام جديد، يوافق شبهات العصر ومتطلباته[٢] ، وعندي أنه على الرغم من أنه كان يحاول التوفيق بين الدين والعلم إلا أنه لم يكن موفقا في دعواه بالتخلي عن علم الكلام التراثي الذي يمثل حائط الدفاع الأقوى عن الدين[٣].

دعوى أن علم الكلام التراثي لم يهتم بالقيم الأخلاقية:

مما أشار إليه النعماني أن علم الكلام التراثي أهمل الجانب الأخلاقي العملية التي سماها بالحقوق العامة، وأن علم الكلام قد اقتصر على التعاليم النظرية فقط[٤] مشيرا إلى أن علم الكلام كان يستبعد من دائرته الاهتمام ببحث المسائل المتعلقة بالجانب الروحي أو القيمي للإنسان.

وقد أجاب بعض الباحثين على هذه الدعوى بأن ما يتحدث عنه أهل الكلام الجديد، إنما كان في مرحلة من مراحل تأسيس علم الكلام، وأن الاقتصار على بعض الموضوعات كان لأسباب وظروف تاريخية (كانت بعض التعاليم الدينية في مقطع تاريخي معين، هي المسألة الرئيسية لعلم الكلام، طبقا للظروف التاريخية والشبهات التي طرحت) [٥] ولا يعني هذا إغفال الجانب القيمي

(١) يراجع: المصدر نفسه، الصحيفة نفسها.
(٢) يراجع: المصدر نفسه، صـ ٤٧.
(٣) يراجع: الهدسة المعرفية لعلم الكلام، أحمد قراملكي، صـ ٥٢، سبق.
(٤) يراجع: الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ٣٠١، سبق.
(٥) يراجع: الهدسة المعرفية لعلم الكلام، أحمد قراملكي، صـ ٥٥، سبق.

والأخلاقي ولا أدل على ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يعد أصلا عند مذهب من أهم مذاهب علم الكلام وهي المعتزلة.

وأما دعوى أن علم الكلام التراثي كان يتسم بالمنهج الواحد المعقد المتشابك، فهذه دعوى تفتقر إلى الحقيقة، والسبب في ذلك أنه على أساس التصور الدفاعي لعلم العقائد يتحدد عنصران مهمان هما: هدف المسألة الكلامية، ولغة وذهن المخاطب بالوحي، كما أن لكل مخاطب منهج معين وقد استخدم علماء الكلام كثيرا من المناهج المتعددة أثناء وتناول وطرح قضايا علم الكلام ومسائله[١]

تصور النعماني لعلم الكلام الجديد بين الوحدة الذاتية والوحدة الاعتبارية:

بات من الواضح إذن أن دعوة النعماني إلى علم الكلام الجديد؛ إنما يأتي في إطار فكرة بعض السابقين عن الوحدة بين مسائل علم الكلام التراثي[٢]، هل هي وحدة ذاتية بمعنى أنه ليس من الممكن إضافة مسائل جديدة لعلم الكلام التراثي، أم هي وحدة اعتبارية بين المسائل ومن خلالها يسمح بإضافة بعض المسائل والموضوعات التي تتناول قضايا علم الكلام من منظور حديث أو معاصر يسمح بمناقشة قضايا علم الكلام حسب ما تتضمنه المناهج العلمية الحديثة، ولذا قال بعض الباحثين (وبما أن الوحدة بين موضوعات علم الكلام وحدة اعتبارية، لذا يمكن أن يكون لعلم الكلام موضوعات متعددة ومتباينة) [٣] وقد نقل هذا الكلام عن (مرتضى مطهري) الذي يرى أن الوحدة بين مسائل علم

(١) يراجع: المصدر نفسه، صـ ٧٢.

(٢) يراجع: الكلام الجديد، شبلي النعماني، صـ ١٨٣، حيث تحدث عن علاقة الدين بالعلم، أو بمعنى آخر العلاقة بين مسائل علم الكلام والمنهج التجريبي العلمي الذي يستدعي أن تناقش المسائل الكلامية من خلال الفهم الجديد لشبهات العصر.

(٣) يراجع: دراسات في الفكر الديني، محمد شقير، صـ ٤٤، سبق.

الكلام ليست وحدة ذاتية، وإنما هي وحدة اعتبارية تسمح بإضافة ومناقشة موضوعات جديدة في علم الكلام.

حجة النعماني في أهمية وضرورة تأسيس علم كلام جديد:

أما عن أهم دافع للنعماني لضرورة تأسيس علم كلام جديد؛ فيتمثل في أن مسيرة المعرفة البشرية في تطور ديناميكي دائم، هذا التطور الذي قد يرد من خلاله بعض المسائل المعرفية التي تأتي في ثوب علمي جديد، لم يكن متوفرا في المنظومة الكلامية التراثية، وتأتي أهم الجوانب التي يرى النعماني أنه لا بد وأن تناقش كمسائل كلامية فيقول: (ولكن في الوقت الحاضر يبحث في الجوانب التاريخية، والحضارية، والأخلاقية للدين) [١] وهو أيضا ما يره بعض الباحثين مثل (مرتضى مطهري) والذي يرى كما نقله عنه الشيخ (محمد شقير): (ومن هنا كانت دعوة مطهري، إلى ضرورة تأسيس علم كلام جديد؛ لما لاحظه من اختلاف في كثير من المسائل الكلامية الجديدة عن المسائل القديمة، ومن اختلاف في كثير من الأدلة والبراهين الجديدة عن الأدلة والبراهين القديمة) [٢] لكن هذه المسائل التي يراها وغيره تختلف عن مسائل علم الكلام التراثي، لا تمت إلى المسائل الكلامية بصلة، وكما قلت غير مرة أن مثل هذه المسائل والموضوعات لها علومها ومناهجها التي تناقش من خلالها؛ حتى وإن اتفق بعض الباحثين مع من يقول بضرورة التطوير والتجديد في مناهج علم الكلام؛ ليناسب التطور العلمي ومواكبة العصر.

(١) يراجع: الكلام الجديد، شيلي لنعماني، صـ ١٨١، سبق.

(٢) يراجع: فلسفة الدين والكلام، محمد شقير، صـ ٤٦، سبق..

أهم التوصيات والنتائج في هذا البحث

١) وضوح الفرق الكبير بين علم الكلام؛ كعلم له أصوله، وموضوعاته، ومناهجه، وبين فلسفة الدين التي نشأت من خلال تصور بعض الفلاسفة مثل (هيجل) الذي استخدم مصطلح (فلسفة الدين) الذي يعني التفكير أو محاولة التفكير العقلي في الدين للتدليل على إمكانية إضافة بعض المسائل والموضوعات مثل: التجربة الدينية، لغة الدين، براهين إثبات وجود الله، الدين والأخلاق، التعددية الدينية، وغيرها؛ لكن مثل هذا الطرح لا يرقى لأن تكون مثل هذه المسائل تمثل كلاما جديدا من الممكن أن يكون بديلا لعلم الكلام التراثي.

٢) سقوط دعوى بعض الباحثين مثل (مطهري) الذي دعا إلى إنشاء علم كلام جديد ليكون بديلا عن علم التراثي وأن تحل بعض المسائل التي تناقش في الغرب حول الدين محل علم الكلام، ولا يعدو هذا أن يكون طمثا لمعالم علم الكلام وليس تجديدا، وإن كان من الممكن تناول بعض المسائل الكلامية في ضوء بعض النظريات العلمية الجديدة، مساوقة للعصر والتقدم العلمي.

٣) تهافت القول بأن علم الكلام التراثي لم يشهد أعمالا إبداعية، وأن غالب ما كان يفعله المتأخرون ما هو إلا تكرارا وإعادة لمواد الموضوعات القديمة من خلال الشروح والحواشي، إلى أن وصل علم الكلام إلى مرحلة الركود العلمي، يريد بهذا الدعوة إلى نشأة علم كلام جديد كلية، يتمثل الإبداع فيه محاربة ونسخ كل مسائل علم الكلام القديم، دون ضابط، وأن الكلام القديم لم يعد الناس بحاجة إليه كما كان من قبل؛ بدعوى استقرار العقائد لدى الناس.

٤) مما أشار إليه النعماني أثناء حديثه عن علم الكلام التراثي وجود الأسلوب التجريدي في مسائل علم الكلام القديم، أو إن شئت قلت غياب الترابط بين النظري والعملي، وأن الصراع السياسي كان له النصيب الأكبر في نشأة علم الكلام، مما أدى إلى استدعاء علم الكلام التراقي لعوالم ذهنية مجردة بعيد عن الواقع، ولا أدل على سقوط مثل هذه الدعوى من أن معظم مؤلفات علم الكلام كانت عامرة بالحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من أبواب القيم والأخلاقيات التي هي من صميم موضوعات علم الكلام.

٥) مما يحمد للنعماني، دعوته إلى تقديم الأدلة والبراهين على المسائل الكلامية بأسلوب عصري يصل إلى القلوب بعيدا عن التعقيدات الكلامية؛ لأنه يرى أن المنهج الذي كان يستخدم فيما مضى كان يعتمد على التعقيدات المنطقية والفلسفية، يقصد بهذا ضرورة التوجه إلى منهج يساوق الطفرة العلمية الحديثة في كل العلوم.

٦) أما أهم المسائل التي رأى النعماني أنها من الواجب أن تضاف إلى مسائل علم الكلام، مثل: الانتحار، وحقوق المرأة، وتعدد الزوجات، والحقوق العامة للناس، فقد قلت أن مثل هذه المسائل لها مناهجها وعلوما الخاصة بها، ولها أكثر من باب في علم العمليات، أو علم الفقه بفروعه؛ خاصة الفقه المعاصر الذي يتناول مثل هذه المسائل، وما يستجد، أما وأن تضاف مثل هذه المسائل لعلم الكلام، فهي أبعد ما يكون عن ذلك.

٧) وأهم ما يوجه من أسئلة للنعماني وغيره من الباحثين الذين تصدوا لإنشاء علم كلام جديد، هل حلوا بذلك الإشكال؟ أو بمعنى آخر هل المسائل والموضوعات الكلامية الجديدة التي أتوا بها هل سيأتي بعدها الأجدد أم ستظل إلى وقت غير معلوم يطلق عليها علم الكلام الجديد؟ بما أن

الكلام التراثي لم يعد يحظى بالاهتمام والقبول عندهم، وهو ما علق به بعض الباحثين، من أن لفظ علم الكلام الجديد الذي أطلقه النعماني وغيره؛ إنما هو من باب التسامح والمجاز، فالكلام الجديد هو ذاته الكلام القديم، ولا يختلف عنه إلا في اشتماله على بعض المسائل الجديدة؛ فالجدة هنا يقصد بها تطوير علم الكلام، وليس ما يقصده بعض الباحثين من طمث الهوية العلمية لعلم الكلام.

فهرس المراجع

١) إحصاء العلوم، الفارابي، تحقيق د/ عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨م.

٢) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق: د/ عبد الصبور شاهين، دار البحوث العلمية، الكويت بدون تاريخ.

٣) إشكاليات التجديد، ماجد الغرباوي، نشر مكتبة دار الهدى ط أولى ٢٠٠١م.

٤) تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال، ترجمة محمد عدس، تقديم: الشيماء الدمرداش، دار الكتاب المصري.

٥) تمهيد لدراسة فلسفة الدين، عبد الجبار الرفاعي، ط أولى دار التنوير للطباعة والنشر، بغداد ٢٠١٤م.

٦) جواهر القرآن، الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، ١٩٨٦م.

٧) الداروينية والبراجماتية، أد / حسن محرم الحويني، ط ١٩٩٩م.

٨) دراسات في الفكر الديني، محمد شقير، دار الهادي، ط أولى ٢٠٠٨م.

٩) الرد على الدهريين، السيد جمال الأفغاني، ترجمة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق أحمد ماهر، ط دار المعارف الحكمية، لبنان ط أولى ٢٠١٧م

١٠) السيد أحمد خان ومدرسة الإسلام التعددي، مقال منشور على موقع حفريات، عبد الجبار الرفاعي.

١١) شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة، نشر. عالم الكتب بيروت

١٢) شرح المواقف، عضد الدين الإيجي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣) علم الكلام الجديد، شبلي النعماني، المركز القومي للترجمة، ط أولى ٢٠١٢م.
١٤) علم الكلام الجديد، عبد الجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين، ط أولى ٢٠١٦م.
١٥) الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، أد محمد البهي، الناشر مكتبة وهبة، ط ثالثة بدون تاريخ.
١٦) فيض الخاطر، أحمد أمين، نشر مؤسسة هندواي للنشر.
١٧) المجددون في الإسلام، أمين الخولي، بدون تاريخ.
١٨) الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق: أمير مهنا، دار المعرفة بيروت، ١٩٩٣م.
١٩) مناهج تجديد، أمين الخولي، ضمن مجموعة كتب مطابع الأهرام، رمضان ١٣٨٤هـ.
٢٠) الهندسة المعرفية لعلم الكلام، أحمد قراملكي، ط أولى، دار الهادي للطباعة والنشر،٢٠٠٢م.
٢١) هوامش على العقيدة النظامية، أ.د/ محمد عبد الفضيل القوصي، مكتبة الإيمان، ط ثانية، ٢٠٠٦م.

فهرس الموضوعات

الموضوع
مقدمة
شخصية هذا البحث (شبلي النعماني)
الفصل الأول: علم الكلام بين التراث والتجديد
المبحث الأول: مفهوم علم الكلام الجديد، النشأة والتطور
مفهوم علم الكلام الجديد عند شبلي النعماني
نشأة علم الكلام الجديد
بداية ظهور مصطلح علم الكلام الجديد
السيد أحمد خان
محمد إقبال: نحو بناء فلسفة بديلة للدين
وحيد الدين خان وعلم الكلام الجديد
أمين الخولي وعلم الكلام الجديد
المبحث الثاني: الفرق بين علم الكلام الجديد وتجديد علم الكلام
متعلق التجديد في علم الكلام
التجديد في المسائل
التجديد في الموضوع
التجديد في المنهج
التجديد في التوجهات
التجديد في اللغة
التجديد في المباني والمبادئ
وقفة نقدية

التجديد بمعنى الاستكمال والتطوير وليس النسخ
التحول الترابطي: التجديد بمعنى التكامل
وصف التجديد بين النسبية والإطلاق
الفصل الثاني: علم الكلام الجديد عند شبلي النعماني
المبحث الأول: فكرة علم الكلام الجديد عند شبلي النعماني
طريقة تدوين علم الكلام الجديد عند النعماني
علاقة الدين بالعلم الحديث في ظل علم الكلام الجديد
قصور استدلالات المتكلمين على المسائل العقدية من وجهة نظر النعماني
المبحث الثاني: مسائل علم الكلام الجديد عند النعماني
وجود الباري بين استدلالات المتكلمين التراثيين والجدد
منهج القرآن في الاستدلال على وجود الله
اعتراضات أهل الإلحاد
نظرية النشوء والارتقاء ودورها عند الملاحدة
خرق العادة بين الإمكان والاستحالة
حقوق الإنسان
المسألة الأولى: الانتحار
المسألة الثانية: حقوق المرأة
أسباب ورود مثل هذه المسائل من وجهة نظر النعماني
المبحث الثالث: وقفة نقدية مع تصور النعماني لعلم الكلام الجديد
السبب في إيراد هذا الكلام من النعماني
العصور الوسطى وعلم الكلام الجديد

مسائل الكلام الجديد
دعوى أن علم الكلام التراثي لم يهتم بالقيم الأخلاقية
تصور النعماني لعلم الكلام الجديد بين الوحدة الذاتية والوحدة الاعتبارية
حجة النعماني أهمية وضرورة تأسيس علم كلام جديد
أهم نتائج البحث
فهرس المراجع
فهرس الموضوعات